المشرق

السنة الحادية والثلاثون | تشرين الاول ١٩٣٣

الحياة في بيروت

على عهد الصليبيين

بقلم الاب لامنس اليسوعي

١

في الثالث عشر من شهر ايار سنة ١١١٠، تقدم بقدوين الاول، اخو غودفرويد دي بويون، وثاني ملك لاتيني على اورشليم، فانتزع من ايدي فاطميي مصر مدينة بيروت — المدعوّة اذ ذاك «باروت» (Baruth) — بعد حصار دام ثلاثةَ اشهر. وكانت غابة الصنوبر او «صنوبر باروت»، كما يقول المؤرخ غليوم الصوري، قد وفّرت الخشب لتجهيز آلات الحرب المستعملة في الحصار. — واذاً فان الغابة اقدم من عصر الامير فخر الدين!

وان تكن بيروت قد قاومت مدّة ثلاثة اشهر، فان ذلك بفضل السفن

المصرية التي كانت تأتيها بالمؤن والذخائر . على ان السفائن الجنوية لم تلبث ان وصلت امام بيروت . وكان عددها اربعين سفينة ، فضيقت الحصار ، وتمكنت بقدوتين من الاسراع في المعارك برًّا وبحرًا . وكانت المعركة الفاصلة شديدة الهول ، كما يُستخرج من رواية المؤرخ القلانسي ، القائل ان الناس لا يذكرون ان الفرنجة شهدوا معركة تشبهها شدّة وهولًا ، حتى انهم قبل نهاية النهار دخلوا المدينة بحدّ السيف . وكان من ضحايا تلك الموقعة قائد العمارة المصرية .

وبعد مدة لا تبلغ القرنين أُجبرت «بارون الصليبيين» على ان تسلّم صلحًا لماليك مصر ، سادة البلاد السورية آنئذٍ . وكان ذلك في ٢١ تموز ١٢٩١ وهو صلح لم يقم الفاتح بمراعاة شروطه ، بل غدر بمن دخل في الامان اشأم غدر . وهاك ما يقوله في تفصيل ذلك صالح بن يحيى ، مؤرخ بيروت . وسنعود كثيرًا الى تاريخه في هذا البحث . قال ذاكرًا سنجر احد امراء المماليك القادم الى بيروت ، واستقبال الحاكم الفرنجي اه ، وذلك بعد الصلح والامان :

« فلما وصل سنجر الشجاعي الى بيروت تلقاه صاحبها وخيالته احسن ملتقى . ونزل في القلعة وامرهم ان ينقلوا اولادهم وحريمهم واثقالهم الى القلعة ففعلوا وظنوا انه يفعل ذلك شفقةً عليهم . فلما صاروا في القلعة قبض على الرجال وقيّدهم والقاهم في الخندق وذلك في نهار الاحد الثالث والعشرين من رجب سنة تسعين وستمائة (١٢٩١) . . . ثم شرع سنجر الشجاعي في هدم سور بيروت وقلعتها وكانت محكمة البناء . ثم جهّز اهلها الى دمشق وانفذهم منها الى مصر باجمعهم فهلك منهم المشايخ والعجائز والنساء . ولما وصلوا الى مصر اطلقهم السلطان وقال : اماني باقٍ عليكم . وخيّرهم بين العود الى بيروت او التوجّه الى قبرس باجمعهم . »[1] وكانت قبرس اذ ذاك تؤلف مملكة اللوزينيانيين ، فيجتمع فيها من تبقّى من رجال الصليبيين .

وهكذا اضمحلت ، بعد ان ازدهرت مدة ١٧٠ سنة ، « إمارة بارون » ، الدرّة الغالية في تاج اورشليم اللاتيني . وقد كانت مدينةً فرنجية ازهرت فيها

١) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت (طبعة شيخو ١٨٩٨) ص ٤٣–٤٤

حياة اوربة وتقاليدها ، مدينةً كانت تجمع الشعوب المختلفة ، على انها ظلّت فرنسوية بلغتها ، وعاداتها ، ومؤسساتها ، كما انها ظلّت فرنسوية بالاسر التي حكمتها . وهاك اسماء هذه الاسر المعروفة « بسادة باروت » Sires de) Baruth) : فهناك دي گين (de Guines) ، وبريسبار (Brisebarre) ، ومونفور (Montford) وكلّها قريبة او مصاهرة لاشهر الاسر الفرنسوية من ذوي الاقطاع في الشرق الادنى كآل لوزينيان (Lusignan) ، ومونتگو (Montaigu) ، ومونبليار (Montbéliard) ، ودامبيير (Dampierre) ، ودي لاروش (de la Roche) . وكانت اللغة المنقوشة على نقودهم فرنسوية او لاتينية . وقد اشترك احد افراد هذه الاسر بتصنيف قانون المحكمة اللاتينية المعروف « بقواعد اورشليم » « *Les Assises de Jérusalem* » واكثر الصليبيين الذين دخلوها اولًا كانوا ممن رافقوا الملك الفاتح في حروبه ، على مثال دي گين (Foulques de Guines) امير باروت الاول ، وعلى مثال بقدوين اسقفها اللاتيني الاول ، واصلهما من كونتية بولونية . اما سائر الامراء والصليبيين فكانوا من المقاطعات الواقعة على الحدود بين فرنسة وبلجيكة . واذًا فهي مدينة فرنسوية خالصة تلك التي ازدهرت ، على مدة نحو قرنين ، في هذه النقطة من فنيقية ، وفي ملحقاتها من جبل لبنان . ويعنيني اليوم ان اجتهد في تبيان ما امتازت به من شخصية وطرافة ، مذكّرًا الناس بحياة باروت الفرنجية وعاداتها .

***

ولنبدأ بذكر حدود تلك الامارة . كان يحدّها من جهة الشمال نهر الكلب . ومن جهة الجنوب نهر الدامور . اما في الشرق فانها كانت تتصل بقمم لبنان . وكانت امارة جبله (Giblet) ، اي جبيل ، المتعلقة بكونتية طرابلس تتصل بها في الشمال . وفي الجنوب كانت اراضيها متصلة باراضي بارونية ساجيت او سايت (Sagette ou Sayette) وهي صيدا الحالية . يفصل بين المنطقتين نهر الدامور ، كما قدّمنا ، وهو اسم لثّنه الفرنجة ثم حرّفوه على طريقة عامية

معروفة في التحريف اللغوي فولّدوا منه اسم « *flumen amoris* » اي « نهر الحب » .

اما في الجبل فكانت مناطق قضاء المتن وقضاء الشوف الشمالي تخضع لامير بيروت . وكان سكان تلك المناطق من المسلمين المنشقّين ، تابعي الشيع ذات النظام السرّي . وقد كانوا يعيشون في حرية فوضوية ، متمتعين باستقلال يكاد يكون ناجزاً ، حتى ان السلاطين والخلفاء لم يتوصلوا يوماً الى اخضاعهم . يشهد بذلك انهم ، بعد انصراف الصليبيين ، اجبروا ملوك الاسلام على ان يسيّروا عليهم جيشاً بلغ خمسين الف مقاتل .

اما على عهد الصليبيين فان دهاء السياسة الفرنجية عمل على اقرار هذه الشعوب السريعة الهياج ، فوطّد الامن في مناطق الجبل ، تاركاً لنا عبرة تُعتبر ومثلاً يجب ان يُقتدى به . وما ذلك الا لان اولئك السكان شعروا بقوة الفرنجة الفائقة[1] مقرونةً بالاستقامة . كان الدروز والمتاولة يحترمون الصليبيين لانهم كانوا يرونهم شجعاناً وامناء لا يخلفون الوعد ولا ينكثون بالعهد . على ان هذا الاحترام لم يمنع سكان الجبل ، بعض الاحيان ، من التلاعب وخداع الصليبيين ، شأنهم مع سلاطين دمشق والقاهرة ، قبل ذاك العهد . ولا يخفى ان الخداع سلاح الضعيف ومرجع سياسته ايضاً . ولكن الصليبيين كانوا واقفين على هذه الاساليب ، فكانوا يقمعون تلك الحركات بالشدة الصارمة احياناً ، ويغضون عنها الطرف احياناً اخرى . ومها يكن من امر فان لنا بقول الرحالة المسلم ابن جبير الاندلسي ، وهو من معاصري هذه الحوادث ، شهادةً على حسن سياسة الصليبيين وتساهلهم مع مسلمي سورية قال :

« ورحلنا من تبنين دمّرها الله[2] سحر يوم الاثنين وطريقنا كله على ضياع متصلة وعمائر منتظمة سكانها كلها مسلمون ، وهم مع الافرنج على حالة ترفيه ، نعوذ بالله من الفتنة ... وكل ما بايدي الافرنج من المدن بساحل

١) اطلب تأثير شجاعة الفرنجة في أسامة ابن منقذ : كتاب الاعتبار ، ص ٤٨، ٩٧، ١٠١

٢) لانها بيد الفرنجة . وكذلك دعاؤه على جميع مدن الصليبيين .

الشام على هذه السبيل رساتيقها كلها للمسلمين وهي القرى والضياع . وقد أشربت الفتنة قلوب اكثرهم لما يُبصرون عليه اخوانهم من اهل رساتيق المسلمين وعمالهم لانهم على ضدّ احوالهم من الترفيه والرفق . وهذه من الفجائع الطارئة على المسلمين ان يشتكي الصنف الاسلامي جورَ صنفه المالك له ويحمد سيرة ضدّه وعدوّه المالك له من الافرنج ويأنس بعدله .»[1]

عندما دخل الصليبيون بيروت كان فيها عدد لا يُستهان به من المسيحيين . وكانوا باكثريتهم من الملكيين والياقبة . ثم لحقهم عدد من الموارنة . ولم يلبث هؤلاء المسيحيون ، ولاسيما اليعاقبة والموارنة ، ان اتحدوا بالقادمين من اوربة ، وسرعان ما امتزجوا بهم وراحوا يزيدون عدد الاسر الفرنجية . وكان منهم اكثر الاطباء والصيادلة في الجيوش والمعسكرات الصليبية . وكذلك في الدوائر الادارية كانت اعمال الترجمة جميعها بيدهم . حتى ألفوا تلك الفئة الفرنجية ـ السورية من الموظفين التي اعجبت ابن جبير بترتيبها وحسن معاملتها . اما المسلمون ففقدوا طبعاً اهميتهم السابقة واضطروا الى قبول الشروط التي كانوا قد اجبروا المسيحيين على قبولها في ما مضى . على انها كانت اخفّ وطأة من شروط الفتح العربي بكثير . من ذلك ان شهادة المسلم وشهادة اليهودي كانتا مقبولتين في المحكمة حتى لو شهدا على الفرنجي . وهو تساهل لم تطلعنا على مثله الشريعة القرآنية .

على ان كثيراً من المسلمين فضلوا المهاجرة من بيروت . حتى اصبح عددهم في المدينة ضئيلاً جداً ، ولم يكن لهم جامع عندما دخلها المماليك[2] .

ايّ اتساع وايّة اهمية كانت لبيروت في اوائل القرن الثاني عشر ؟

سؤال يصعب الجواب عنه بدقة وتفصيل . فانه منذ الزلزال الشديد الذي حصل سنة ٥٥٥ ودمّر جامعة بيروت الحقوقية الشهيرة[3] ، واهلك ٣٠,٠٠٠ من

١) رحلة ابن جبير (طبعة de Goeje) ص ٣٠١–٣٠٢

٢) صالح بن يحيى : التاريخ المذكور ، ص ٥٨

٣) اطلب محاضرتنا في « الحياة الجامعية في بيروت على عهد الرومان والبيزنطيين » في « مجلة العالم المصري » (ايلول ١٩٢١) *Revue du Monde Egyptien* (Sept. 1921)

البيروتيين ، لا نرى ما يشير الى ان المدينة عادت الى ازدهارها السابق . فانها على عهد العرب كانت خاملة الذكر. وان ذكرها الوليد الثاني ، الخليفة الاموي الشاعر ، فانما يذكرها ليشيد بذكر خمرها وهو بالحقيقة خمر لبنان الذهبي. ثم ، اذا استثنينا الامام الاوزاعي ومكحولًا ، لا نرى ذكرًا لاحد من مشاهير مسلمي بيروت في كتب مؤرخي العرب لذاك العهد . اما من حيث التجارة فان عكا وصور وطرابلس كانت قد نازعتها الاسبقية وفازت بها حتى انها كادت تحتكر تصدير حاصلات دمشق وما اليها من مدن الداخلية . على ان بيروت كانت مدينةً محصّنة قوية الاسوار. يدلّ على ذلك ما ذكرناه عن حصار بغدوين الاول لها من طول المدّة وشدّة العراك . مما يفرض ضخامة الاسوار التي زادها الصليبيون قوّةً ومناعةً ايضًا ، فجعلوا من المدينة « مركز حرب حقيقيًا حتى اصبحت اقوى مدن الساحل وافضلها واحسنها ازدهارًا . » هذا بشهادة المؤرخين المسلمين[١] .

وقد نشر الكونت دو منيل دو بويسون(Comte du Mesnil du Buisson) في مجلة « سيريا » [٢] بحثًا دقيقًا نفيسًا في اسوار بيروت القديمة. وكان غليوم ري (G. Rey) قد خصّ ، منذ السنة ١٨٧١ ، درسًا مهمًا «بآثار الصليبيين الحربية في سورية وجزيرة قبرص» . ولا اتردّد هنا في الاقرار بقلة صلاحيتي للخوض في مثل هذه الموضوعات . على انني اودّ ان اضيف الى الموضوع بعض وثائق ، وان اعيد النظر في بعض نصوص اعتقد انها لم تُدرس الدرس الكافي :

يفرض ري في كتابه « مستعمرات الفرنجة في سورية » [٣] « لبارون الصليبيين » مساحة ٨٥٠ مترًا طولًا في نحو ٦٠٠ متر عرضًا ». ثم يأتي دومنيل فينقص هذه المساحة الى نحو نصفها . وهي مساحة قد توافق ، في ما اظنّ ، بيروت المماليك او بيروت فخر الدين والجزّار — ولم يكن فيها اذ ذاك الا

---

١) اطلب مجموعة مؤرخي الصليبيين *Historiens Orientaux des Croisades* I, 692

٢) *Syria*, II, 235 etc.

٣) G. Rey, *Colonies franques de Syrie*, p. 321

ستة آلاف ساكن ــ لا بيروت الصليبيين . فان هـذه كانت اوسع واكبر ، كما يُستخرج من قول الرحالة البلجيكي گيلبر دي لانوى (Ghilhebert de Lannoy) اذ زارها في القرن الخامس عشر فقال : « كانت ، في مـا سبق ، على عهد الصليبيين ، مدينةً كبيرةً مقفلة » . ثم ان مـا كان يجعـل اسوار بيروت فخر الدين والجزّار عرضـةً لا لمرمى المدافع فحسب ، بل هـدفاً للمجانيق ، هو وجود الاكمتين المرتفعتين عن المدينة من خارج تلك الاسوار . وهما الاكمة التي ترتفع عليها السراي الكبرى اليوم ــ وعلوهـا ٤٢ متراً عن سطح البحر ــ والاكمة الشرقية التي كانت فيها جبّانة المسلمين القديمة وراء السراي الصغرى . امّا ان يكون الصليبيون بلغ بهم الاهمال وعدم التبصّر الى ان يبنوا قلعتهم الضخمة ، التي طالما اعجب بها المسلمون ، عند اقدام هاتين الاكمتين ، فهو ما لا يمكنني التسليم به ، الا اذا اطلعت على برهانٍ قاطع .

ان الفرنجة كانوا ، مع الرومان ، اوفر من مرّ بارض سورية جلداً على البناء . ولا شكّ ان بقاءهم مدة قرنين في هذه البلاد ، على ذاك البعد الشاسع عن موطنهم ، مدينٌ لشجاعتهم اولاً ، وكذلـك لمقدرة مهندسيهم ودهـاء بُناتهم . نتحقق ذلك ايضاً اذا اعتبرنا عصرهم المختلف عن عصرنا في ما خصّ العادات الحربية ، اذ كانت فيه الاهمية الكبرى للدفاع اكثر منها للهجوم . وان عظمة اساليب التحصين البادية في قلاعهم واسوارهم اثرت التأثير الشديد في المسلمين المنتصرين عليهم حتى انّ هؤلاء لم يروا طريقـةً افضل ولا اسلوباً اوفق، لكي يمنعوا اعداءهم من العودة،من ان يخربوا الاسوار ويهدموا الحصون التي كان قد انشأها الصليبيون على الساحل . على ان هذا الهدم ، لحسن الحظ، لم يبلغ مداه في جميع الانحاء . وليس من السهل ان يخرب الانسان ، كما يخرب قصراً من ورق اللعب ، ابراجاً من الحجر الصلب المتماسك البناء . تبلغ جدرانها الثلاثة والاربعة امتار سماكةً . وكان من مفعول اسوار الصليبيين ، في العصور المتأخرة ، ان دهاء بونابرت حبط لدى آثارها الباقية حول مدينة عكا ، مما لم تقوَ على التأثير فيه اعمال الحفر ولا كرات المدافع .

وكان من اول اهتمام امراء الصليبيين ، في المدن البحرية ، ان يبنوا قلعةً

حصينة يزينونها بكل ما اوتوا من مهارة في البناء الحربي فتقيهم اشدّ الهجمات حتى اذا تمّ لهم ذلك كانت مناعة اسوار المدن ثنوية في نظرهم . وقد شهد التاريخ على ان اكثر حصونهم في سورية قاومت كل الهجمات . ولم يكن رجالها يسلّمون في الغالب او يتركون الموقع الا لنفاد المؤونة والذخيرة.

وكانوا يفضلون لبناء حصونهم البحرية رأساً متقدماً ، او مرتفعاً صخرياً ، او صخرةً في وسط البحر كما في صور ، وصيدا ، وعتليت . واذا لم يوفقوا الى ذلك كانوا ينتخبون ، في زاوية الموقع ، اكمةً تتصل بالبريّة . حتى اذا سقطت المدينة لجأت حاميتها الى القلعة فحاصرت وامكنها ان تتناول الذخائر والمؤن من الخارج . ولنا الامثلة على هذا النوع من الحصون في اورشليم ، وجبيل ، واللاذقية . ولم نرَ انهم بنوا حصونهم مرةً واحدة في ارض منخفضة عمّا جاورها .

اما في بيروت فترجح ان قرب الميناء دفعهم الى تأسيس قلعتهم على مرتفع الجبّانة القديمة ، مفضّلين هذا الموقع على اكمة السراي الكبرى . وقد ذكر هذه القلعة ويلبران دولدنبورغ (Willbrand d'Oldenbourg) سنة ١٢١٢ فقال انها من جهة يحفظها البحر ، ومن الجهة الاخرى تُشرف على هوّة عميقة « *alto rupis precipicio* » . اما هذه « الهوّة » فهي دون شك ما يراه الناظر من ذاك المرتفع المشرف رأساً وعمودياً على الميناء . ولا سبيل الى تخيّل مرتفع غير هذا يوافق « هوّة » الكاتب ، في جهة القلعة ، وهي قائمة في الزاوية الشمالية - الشرقية من مركز المدينة .

اما السور الذي جدّد بناءه فخر الدين ، ثم اتمّه الجزّار سنة ١٧٧٣ في بضعة اشهر ، فكان يمرّ في اسفل اكمة السراي الكبرى . وكانت آثاره لا تزال ظاهرة لثلاثين سنة خلت . وقد كان للجزّار ان يكتفي به ، اذ لم يكن لديه من العدّات ولا من الوقت ما يسمح له ببناء افضل منه ، ولم يكن يرمي الى ابعد من مقاومة امراء لبنان . وليس عندهم من المدافع ما يهدمون به سوره .

اما مهندسو الفرنجة فكانت غايتهم ابعد من هذه . وكانوا يعرفون « ان طرق التحصين لا تمكن من الدفاع عن المناطق الواسعة الّا اذا فقدت قسماً من

مناعتها. »[١] ولهذا سواء أكانوا في اوربة ام في الشرق ، فانهم لم يظهروا قط ميلهم الى الاسوار البعيدة الفسيحة . وعليه فان مساحة « بارووت الصليبيين » تظلّ ضئيلة ، وان ادخلنا فيها — كما ارى ضرورياً — الاكمة الغربية ومرتفع الجبّانة الشرقي.

وكان من فضل مناعة القلعة وانحصار نطاقها ، انه لما هجم المان فريدريك الثاني على بيروت سنة ١٢٣٢ ، فدخلوا المدينة فجأة ، لجأت الحامية الى القصر الذي تنعته ملاحم القبرصيين (*Les Gestes des Chiprois*) بانه « من اجمل قصور العالم » وبدأ الحصار . فارتقى الالمان المحاصرون المرتفع المدعو شوفر (Chaufor) فاشرفوا على القلعة واخذوا يرمونها بكللهم . اما شوفر هذا فيجعله ري مكان السراي الكبرى . ويقول دومنيل بل يجب ان يكون وراء السراي الصغرى . امّا انا فاظنّ ان الاسم شوفر تحريف « الاشرفية » وأرى ان المحاصرين أخذوا يرمون القلعة من هذه الاكمة . وهو امر ممكن اذ أن فنّ الرماية بالمنجنيق في ذاك العصر كان من التقدم بحيث انه كان يستخدم الادوات القوية ، « فترمي الى مسافة بعيدة ، على خطّ شلجمي ، كللاً من الحجارة[٢] يبلغ وزن الواحدة منها من ١٠٠ الى ١٥٠ كيلوغراماً . » (ري)

١) اطلب Rey, *Architecture militaire*, 180

٢) اطلب اسامة ، ص ٨٣

(للبحث صلة)

اثر جليل للقرن السادس عشر

رسالة البطريرك اغناطيوس نعمة الله السرياني

(١٥٧٩م)

عرّبها عن الاصل السرياني ، وافتتحها بترجمة حياة البطريرك المذكور
القس يوحنا عزّو ، كاتم اسرار البطريركية السريانية الانطاكية

٢

الرسالة

..... تهون اليّ بأيديكم ، وترفعوني ، أنا المتساقط الى أسافل الأرض ، وتدنون بي كالابن الشاطر من المائدة الروحية ، وتزينوني بالحلة الفاخرة ، وتصنعون من متّى جابي الاعشار رسولًا وانجيليًا ، وتبرزون من زكّا القصير القامة صاحب المكس مبشرًا ووليًا ، وتحملونني على الكتف كالخروف الضائع ، وتتخلّون عمّا وجب عليّ كالذي كان مدينًا ربوات الوزنات ، وتدعون ابناء البيعة الى وجدان الدرهم المفقود ، وتعاملونني نظير الملك السموي لمّا وجد آدم يتطاول الى مساواته وخطف عرش الوهيته اتّشح برداء التواضع وغفر جريرته ، وتقولون على مثال داود المزمّر الالهي لمّا قتل ابنه ابيشالوم «يا ابني ابيشالوم . يا ابني ابيشالوم . يا ابني . يا ليتني متّ بدلك يا ابيشالوم ابني . يا ابني» (٢ صموئيل ١٨ : ٣٣) وتجازونني بالخيرات شبه يوسف الذي احتمل من اخوته ضروب السيئات ، وتبذلون نفوسكم للموت على شاكلة موسى النبيّ الذي قاسى اذيّات كثيرة من الشعب الاسرائيلي ، وتبتهلون نظير بولس العظيم راغبين ان تضحوا انتم انفسكم محرومين عوض اخوتكم وانسبائكم في الجسد ، وتقرّبون الطلبة عن راجميكم اقتداء باسطفانوس ، وتدمعون اسوة بربّكم

عن الذين صلبوه . تصنعون هذا كله عالمين بالضعف البشري ، لان البشر لا يتمكنون من اللبوث على وجه البسيطة في هذا العالم دون خطيئة . فقد اخذ حزقيا بالكبرياء ، واستسلم بطرس لجحود ربه. فالاثم اذاً لا يعرض للاشرار فقط بل للاخيار ايضاً ، لان الله وحده لا يأثم البتة ولا يؤخذ بالاهواء . وقد قال مار غريغوريوس : «ان الملائكة لا يستطيعون الخطأ ، والبشر يسقطون فيقومون ، والابالسة وحدهم اذا ما سقطوا لا يتأتى لهم القيام» . والبارّ ، حسبما يعلّم الحكيم ، يسقط في اليوم سبع مرات ويقوم . وقد جزم ربنا ان يكون الغفران سبعين مرة سبع مرات . فانت اذاً ، يا ابانا ، اغفر كوصيّة ربنا ، ليغفر لك ولا يجيس في صدرك الطاهر ابداً في محل ما ذكر خطايانا وجرائرنا . بل اذكرنّ ان مراراً كثيرة تتولد الشرور من الخيور والخيور من الشرور . واذا ما اراد الله ان ينوّه بانسان اسلمه اولاً ليمتحن ويمحّص في التجارب نظير ما فعل مع يوسف لمّا اراد ان يجعله ملكاً لمصر . وقد صعد بدانيال من الجب ، واخرج يونان من جوف الحوت ، والفتيان من الاتون . ها ان بطرس لو لم يعدم صيد الليل لما استحق الحظوة بصيد النهار . ولو لم يصب بولس بالعمى علانية لما ابصر بالروح ورجع عن غيّه . ولو لم يظلم اسطفانوس ويعد محدقاً لما عاين السموات مفتوحة . ولو لم يمحّص مار ميخائيل الكبير كالذهب في الكير لما وضع كاكليل في رأس البيعة . ولو لم تنل التجارب تترى مني انا السليط النفس وتلين صلابة نفسي كفعل الحديد بالنار لما تعلّمت ان اقول: «خير لي لانك اذللتني لاتعلم وصاياك» (مز ١١٨ :). وبعد ان اتخلى عن الكراسي لمن تطلبون ، وادع ان يكون للبعض العناء ، والكرامة وللبعض الحرب والنصرة ، ازجي حياتي كلها عبداً وتلميذاً لكم الى ان اغمر التقولات المشبعة اجاجاً ببيّنات مشربة ماء الحق الصراح ، اصنع هذا مرتاعاً لذكر عوزة الذي تلقى قضاء الموت بغتة لانه تجرأ على لمس تابوت الرب السرّي كما جاء في سفر صموئيل الثاني (٦:٦ و ٧) : «ولما انتهوا الى بيدر ناخون مدّ عوزة يده الى تابوت الله وامسكه لان الثيران انشمصت فاحتمى غضب الرب على عوزة وضربه الله هناك لتجاسره فمات هناك عند تابوت الله» . واولئك الذين كانوا

يخدمون في قبة العهد التهمتهم نار مجامرهم لانهم تشهّوا الشهوات البدنيَّة خلافاً للناموس كما ورد في سفر العدد (١٦: ٣٥): «ثم خرجت نار من قدّام الرب واكلت المائتين والخمسين رجلاً الذين كانوا قد قرّبوا الدخنة». وما ورد في سفر اللاويين عن ابني هارون (١٠: ١و٢): «واخذ ناداب وابيهو ابنا هارون كل رجل منهما مجمرة وجعلا فيها ناراً ووضعا عليها بخوراً وقرّبا امام الرب ناراً غريبة لم يأمرهما بها فخرجت من عند الرب نار واحرقتهما فماتا قدام الرب». واني لاذكر بأس تلك اللفظة المفعمة رهبةً وقد فاه بها امنوح العظيم كما ذكر سفر القضاة (١٣: ٢٢) قائلاً لامرأته: «نموت موتاً لاننا قد عاينّا الله». كذلك اشعيا، كبير الانبيا، لمّا استنار من الروح القدس عقل ان منحة النبوّة اسمى من قوّته الخاصّة فقال: «الويل لي اني هلكت لاني رجل نجس الشفتين، وانا ساكن بين قوم نجس الشفتين، وقد رأت عيناي الملك ربّ الجنود» (اشعيا ٦: ٥). وارميا، كان يتوجّس فرقاً جدًّا لئلا تحجب خساسة القامة وصغرها سموّ النبوّة فقال: «آه ايها الرب الاله اني لست اعرف ان اتكلم لاني فتى» (ارميا ١: ٦). بل ان موسى من قبل هؤلاء لمّا ارسل الى مصر كان يتلوّم في الامر منقبضاً حياءً من رفعة الرسالة وتعذّر عنها باللّثغة والجهل، قال: «هوذا بنو اسرائيل لم يسمعوا مني فكيف يسمع مني فرعون وانا الثغ اللسان» (خروج ٦: ١٢). فان كان هؤلاء اذاً الذين كانوا اطهاراً بالقول والفعل يرتاعون لعظمة الخدمة فكم بالاولى نحن الذين منهم على طرفي نقيض، ومأسورون باميال النفس والجسد المنحرفة؟ فخيرٌ لنا ان نتفهّم نفسنا لئلا تبتلعنا الارض نظير قورح وداثان وابيرام ومن لفّ لفّهم، لانهم قاموا في غير محلهم، كما جاء في سفر العدد (١٦: ٣٢) «وفتحت الارض فاها وابتلعتهم هم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع جميع الاموال».

وليس فقط هؤلاء الاولون يستعفون من العظمة لكن ربنا نفسه، حسبما يعلّم الرسول عنه، انه لم يمجد نفسه ليكون عظيم احبار حتى قال له الآب: «انت حبر الى الابد شبه ملكيصاداق». وشمعون هامة التلامذة ايضاً لم يخطف زعامة الرهط الرسولي حتى اؤتمن على المقاليد وسمع تلك العبارة القائلة: «ارعَ خرافي».

ولم يكن في وسع عبدك الذليل العاجز ايضاً الائتمان على الرعاية حتى قبل المفاتيح من يديك ، كما قبل شمعون من المسيح . فان قلتم كيف نستطيع ، والحالة هذه ، ان نخطف كرسيّ رسالتكم ، بل نجيب بدالّة : حاشانا ان نسلب الدرجة السامية كلصّ بواسطة الاجنبيّين ، وتدنّس بهاء البيعة ، او نقبل عوض يهوذا اسرائيل ويهوذا ، ونقسم القميص المنسوج باليد من فوق مع الجنود . بيد اننا لما هربنا من ابن اخيك لانه كان يتهدّدنا باخذ الاسكيم الذي كنا منحناه بواسطته ، والامضاء الذي وقّعناه بامركم ، الجأنا الى اللياذ بالهزيمة من امامه . ومن ثم وصلنا الى اورشليم ، وحللنا في دير الارمن ، فأكرم روساؤهم وفادتنا . ثم بعلّة كتاباتهم الى الجاثليق طردنا من هناك ، وأُخرجنا من الدير الذي كنا معتزلين فيه ، وبتنا ننظم مراثي لذلّنا . ولما آب جاثليق الروم من رومة هرع اليه مطرانكم وتوسّل بكل الوسائل لديه ، والحف في الطلب منه حتى اعمى عينيه ، فوعد باجلائنا . ولاجل ذلك استدعانا اليه ، ولما جيء بنا الى الوسط امامه وعاين ان ذلك لا يليق بمقامنا ، انتبه حينئذٍ اثناسيوس ، مطران الارمن ، والحّ بالضرر الذي اتانا باعدامنا إقطاعاتنا وارزاقنا . فتشاور الرعاة بينهم لا من جراء طلبتنا والتماسنا ، ولا بارادة الولاة المرغمة ، بل بارادة الله سبحانه وعنايته الخاصة ، فاقمنا عنده بدعة وحبّ . ولما حضر زمن جباية الاتاوة خفّف عنّا وقر الدنانير بناء على ما سبق لنا من استرضائه ، ولانه وجدنا ابرياء تجاه من اغتابنا . على ان ذلك الشخص ، اي الجاثليق ، كان يضمر الايقاع بالاسقف لما كان قد خامر قلبه من الحقيدة عليه وتمكن فيه من الحزازات ، فاخذ يتطلّب علّة يأتي بها عليه لينقع اوامه ويتشفّى منه . فلما وصلت رسالتكم المقدّسة المسطورة باللغة العربية تاركها البطريرك فوجدها مستهلّة بشعار مار ميخائيل ، بطريرك انطاكية سورية ، فعدت له هذه العبارة مسكة سوفسطائية وقال : ليس في وسع بطريرك انطاكية ان يسوس رعية بطريرك اورشليم . ولاجل ذلك امر الّا يُنادَى ببطريركنا في القدّاس . اما الاسقف القديس فلانه لم يصبر على ابطال اسمكم وعده بثلثمائة دينار يؤدّيها له في الصيام المقدس ، وفي مرجوّنا اصلاح ذات البين بهبة ما يسيرة .

فاذًا ان كنت ترغب في المجيء الى هذه الناحية وتصعد الى مدينة القدس اورشليم ، تصادف منافع جمّة بمجيئك . اولًا تربح عبدك وتطيب نفسك . ثانياً تولي السلام بيعة المسيح فيتجدّد الدير ولا يخرب على عهدكم ويُكتشف الذين تجاسروا وابطلوا اسمكم وأوجبوا الخراج واورثوا الدير المضارّ . ومن يثبت عليه هذا الذنب امامكم فلا يُنبذ ويُحرَم من البيعة كلّها فقط، بل يتحتم عليه ايضاً عدلًا ان يفي الذهب المتعين علينا ولا يتابكم او يتاب الدير او المطران خسارة باي نوع كان. وبمجيئكم تزدادون رفعة وتتوافر لكم العظمة والكرامة . وانا اكون امامكم عبدًا وتلميذًا وملبياً لرغائبكم كلّها ليس عند شعبنا وحسبُ ، بل عند بطريرك الفرنجة . وقبل ان تدخل حدوده يسبق اليك كتابه وعهده ، فتحوز الكرامة ، وتدخل اورشليم باحتفاء ووقار حسب عادة البطريرك . فتقوَ ، ولا تخف ، ولا يختلجنّ في صدركم خواطر ضعيفة . بل تشجعنّ ، وانا قدّامك بنيّة مستقيمة ، ويجبّ لا يشوبه رياء ، يشهد عليّ الله الذي اخدمه بروحي اني متأهب لان اموت في سبيل رفعتكم وتحقيق امنيتكم الالهية ، لكيما اني بطعم المرائر طعم المخادعة والمداهنة ، ويُتلافى ايضاً ما قد يمكن ان يُحدثه من الاضرار المردة المتطاولون على الحق. انما انت لا تتبط عن المجيء الينا وحسبُ . وان كنتَ لا تستطيع المجيء من اجل وقر شيخوختكم ، او من جراء بوائق الزمان ، او لدواعٍ ما موجبة ، فارسل ثلثة او اربعة اساقفة ذوي خبرة يحسنون التكلم ويتفادون من المداهنة والرشوة . واذا ما اتوا بكتاباتكم وراعوا امركم تحقّق نحن وهم رغبتكم ، ونصبح عاملين على تدبير شؤون الدير اكثر من جميعهم . ومن يثبت عليه انه تجاسر واوجب الجزية على الدير يُنبذ من السوريّين والارضيين ويفي هو ذاته الذهب وتتنصل بقيّة الاحزاب من اللائمة. وعليه فلا يقعدنّ بك امر ، يا ابانا ، عن المجيء الينا لما لنا فيه من جمّ الفوائد . اولًا : تتحقق رغائبكم ، واني متأهب بنفسي لقدومكم . ثانياً : تتثبّتون وتتكرّمون من جميع المذاهب والالسنة . ثالثاً : يتخلّص الكل من اللائمة ، ويُنادى باسمكم الكريم كالعادة ، وينجز حسب وعدكم الصادق المجمع العام ، وجميع ما كتب مع

الاساقفة القادمين وقداستكم تسطرون درج المجمع العام ، ويتبدّل بشهادتهم الحرم السابق بتأدية الصلوات والبركات ، ويُطلق إسار اخوتنا المظلومين وينجون من المذل . ولدن بلوغ هذا الدرج نلازمنّ محلّنا الحالين فيه او نعتزل الى الراهب صليبا مختلين بنفسنا دون ان ننبس بكلمة من شأنها ان تثير عِثير الشغب والبلبلة ضدّك ، او ضد الاساقفة ، او ضدّ بيعة المسيح . لكنا نترتب في عِداد المعذَّبين والمضطهدين الذين عثر بهم الزمان ، ونصلّي على الانساء في اجالكم ، وبناء على امر سيادتكم في الرسالة الثانية نقطن حيث يطيب لنا . اَجل هكذا نصنع وان الحاجة ماسّة الى قدومنا لاننا نشفق على نفسنا واذ قد بُتَّ الامر اننا لا مطمع لنا البتة في الائتمان على ازمّة الرعاية ، ان حيينا وان متنا ، فخير لنا ان نسكن ونعمر مع امثالنا في الرتبة ونبتعد عن الدنو منكم بالمكان لا بالجنان ، حتى يضمحلّ جسد الخنّاس وتتصرّم احبولات بهتانه . واما انتم فالله يحفظكم ويرفع شأنكم بالرعاية ، وينوه بكم كالرسل القديسين ، ويمتعكم بحياة طويلة . ونحن انّى نكون احسبني عبدًا وتلميذًا لكم ورفيقًا اكثر من جميع الذين يتنعمون بخيراتك . آمين .

ينبغي ان تزيحوا عن افكاركم الشبهات ، وتتأكدوا اخوتكم واثقين بان ما يقرع الآن مسمعكم الطاهرين من عبارات التظلم المُبلبَلة والاحتجاجات البارزة مع الروح من اعماق قلبي المعذّب ليست من آداب المراسلة في شيء ، وبعيدة عن اسلوب الكتابة المتوجب على العبيد نحو مواليهم ، بل هي اشبه بالميثاق والوصية اللذين يستعجل بابرازهما المُدنِف ، وهو يجود بانفاسه الاخيرة ، ودموعه تسح حينئذٍ ممتزجة بدم اوردة القلب ، واثقًا بان تكون لي مع آلام السيد المسيح مدعاة للتزكية والتطهير . لان ليس لي قط ولغربتي العلانية منفعة او رفهنية او راحة ما دمت بوثاق الجسد او انفككت منه الا حياة البيعة وقوامها ونظامها . واعلموا ، يا اخوتي ، باني اعالن قداستكم بمكنونات صدري كما هي بادية وصحيحة امام فاحص الجميع الذي لا يعزب عن علمه شيء . ان نفسي الذليلة تتوق وتحنّ جدًا جدًا الى الفوز بالاختتام الذي اعدته

وهيأته لي رحمة من استشهد في ولاية بنطيوس بيلاطس ، وهو اختتام سعي اصفياء الله الرب الصالح ، أريد به حيازة اكليل الاستشهاد المجيد الشهيّ الذي أُعدّ لي باذن رأفة من يريد حياة كل انسان . فالذي هايج اليهود أولًا على إراقة دم رب العالم الطاهر وخالق المعمورة الشديد البأس هو هو اثار عليّ جنوده الاشرار وخدمه الكفرة غير المؤمنين . واعلموا بانه لم يصرفنا ويبعدنا عن هذا الاكليل شيء البتة لا رهبة الموت ، وهو آخرة كلّ بشر وليس بوسع احد التملّص منه اذ لا بد لكل مولود امرأة من ان يذوقه مرة واحدة فضلًا عن انني علقت من تلك الساعة فصاعدًا اذوق الموت الزؤام الف الف مرة في كل سراح ورواح وعيناي مفتوحتان . ولم يتأتَّ لحب العالم وزهوه ومقتنياته ان تصدفني عن هذا الاكليل لان مثل هذه النهاية شهية لديّ لانجو مما يخدش سمعي وسمعكم الطاهر فلا أُجبَر فيما بعد على الاصاخة الى هذر الشعوب في هذا العالم الكاذب الاسم والشكل ، ولاسيما ثلب الاشرار منهم اعداء استقامة المعتقد الذئاب المتطفون بلباس الحملان القائلين بهزء وشماتة : « زه ! زه ! قد رأت به اعيننا » ويتشبّثون باعمال الصلاح مداجاة ويعزون الى بلواي انبازًا نائية عني نظرًا الى استعدادي كنأي المشرق عن المغرب وقصية عني ومضادة لي كمضادة النور الظلام والموت الحياة . وان كانت المخالفات والاوهام تخلق لي بيّنات وقتية فانّ ابراهيم ابا الشعوب كان يأتي بالبيّنات الوقتية لدن الشعوب الكفرة ويتقلب حسب الزمان وكان هؤلاء ينبزونه وامرأته بانباز كاذبة حينئذٍ . وعلى هذا النمط جرى يعقوب اسرائيل في اعماله وتصرّفاته عند خاله لابان الوثني حتى كان يُظنّ انه ايضًا وثني على شاكلة خاله ، مع انه كان مؤمنًا بالله . واقتفى خطواتهما ايضًا بهذه الاعمال موسى زعيم الانبياء ، اذ زجّى اربعين سنة في بيت فرعون عابد الاصنام ، وكان يُعدّ ابنًا ومشايعًا ، وزجّى اربعين سنة اخرى عند رعوئيل حبر الابالسة وكان يُظن صهرًا وموافقًا ، مع انه نجيّ الله العلي ولم يحسب لدنه تعالى الّا خادم الاسرار والالهيات ورأس الانبياء طرًّا . وقد رُمي بجهل غير يسير هذا الامين المشبّع عقلًا لا عازجه رثاء او شجناء ولم يرَ عليه ظلّ المخالفة . لنتقدم الآن من اخبار مار بولس اللاهوتي .

فان هذا الاناء المختار والرسول الساعي الهمام الذي لم يختر له نصيباً سوى المسيح وباشارته سار وتدبّر ، كان كلّما شام برق فائدة لربح النفوس لله ، او بَصَّ له وَميضُ منفعةٍ للكنيسة تصرّف بدهـا. وفطنة مع الظروف فنسمعه تارة يكنّي ذاتـه يهودياً ، ونراه طوراً يتغيا بظل الرومانيـة ، ونلفيه حيناً يتزيا بالوثنية ، ونشاهده آناتٍ كثيرة يفتخر بهذه الحكمة ويجهر على رؤوس الاشهاد منادياً: « اني اضحيت كلًّا للكلّ لاربح الجميع حتى اني صرت بلا الله لاربح الذين بلا اله ، مع اني لست بلا اله . » وعلى هذا المنوال نسج مار اثناسيوس الرسولي بابا الاسكندرية[1] متصرّفاً مع الزمان اذ انه لما حلّ بساحته الاضطهاد من الاريوسيين ولجأ الى الهرب من وجه يوليانس الملك الجاحد الاثيم متنقلًا من مكان الى آخر ومختفياً تارة في المقابر وطوراً عند امرأة بتول كان يُدلي بحجته قائلًا: «لا يشين يااخوتي اللياذ بالهزيمة من وجه المضطهدين فقد لاذ بها داود من وجه شاول، ويعقوب من وجه اخيه عيسو ، وقد دُلّي مار بولس الرسول بزنبيل في دمشق من السور . اوَلم يقل ربّنا بفمه القدوس اذا ما طردوكم من مدينة فاهربوا الى اخرى ؟ ». وقد حدث مرة لهذا الاب القدّيس وهو هارب في احدى السفن ان ادركه المضطهدون وطفقوا يسألون عنه من معه ، فاجابهم هؤلاء كاذبين : انه ليس ببعيد عنكم فالحقوه . ولما ذهبوا ليتقصوا اثره عاد اثناسيوس ادراجه الى الاسكندرية واختفى عند راهبة طيلة ايام الملك العاتي يوليانس الجاحد .

(لها صلة)

---

١) قال المقريزي في « كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » (٢ : ٤٨٤ ، طبعة بولاق في ذكر تأريخ الاقباط) : « وكان بطرك الاسكندرية يقال له البابا ومعناها ابو الآباء. ثم انتقل هذا الاسم عن كرسي الاسكندرية الى كرسي رومية من اجل انه كرسي بطرس رأس الحواريّين فصار بطرك رومية يقال له البابا واستمرّ ذلك الى زمننا الذي نحن فيه .»

القضاء في لبنان

بزمن الأمراء الشهابيين

بقلم عيسى اسكندر المعلوف ، مؤلف تاريخ
الأسر الشرقية وعضو المجمع العلمي العربي

٢

الشيخ عبد اللطيف فتح الله

في بيروت ثلاث أسر باسم « فتح الله » . احداها حسينية تقسم الى ثلاثة افخاذ : آل فتح الله ، والشيخ ، والغندور ، واصلها من غزة هاشم . ولها بقايا في بيروت منهم الشيخ عبد الباسط فتح الله وغيره . والثانية بنو فتح الله لا نعرف منشأهم . والثالثة آل فتح الله الذين منهم الشيخ عبد اللطيف هذا ، وتعرف اسرته بعده باسم « آل المفتي » الآن . ولا نسابة بين هذه الثلاث ، وهي من المسلمين السنيين .

ومن هذه الثالثة الشيخ عبد اللطيف ابن السيد علي المكنّى بفتح الله المفتي البيروتي . ونرجح ان منها السيد عبد الحي بن ابي بكر بن احمد البيروتي اصلاً الدمياطي مولداً وسكناً ، وهو استاذ الشيخ احمد البربير الذي مرّت ترجمته في الجزأين الماضيين من المشرق (٨ و٩) . ومنها السيد وهبه فتح الله المفتي ولم نقف على اخباره لولا ان يؤرّخ عبد اللطيف هذا ولادة ابنه محمد بديوانه المخطوط عندي سنة ١٢٠١ هـ (١٧٨٦ م) ويسمي والده « المفتي » :

أيا هبة المولى المقدس نعته ومن بجزيل الفضل كل الورى غمرْ
ليهنك نجل بالمحامد وصفه يفوق محيّاهُ البهيّ على القمرْ
اتاك وثغر الدهر مبتسم لهُ بسام كثير الخير ارخته اغرّ

ولد عبد اللطيف في بيروت ، ودرس على علماء عصره ، وترعرع على القضاء والافتاء . ثم درس على اساتذة مشهورين مثل السيد احمد البربير الدمياطي في بيروت ، والشيخ محمد الداموني الخلوتي البكري في عكا ، والشيخ عبد القادر الرافعي في طرابلس ، والشيخ جمال الدين يوسف الشمسي ، والشيخ محمد الكزبري محدث الشام في دمشق . ومال الى نظم الشعر .

فبرع في الفقه وعلّم واجاز كثيراً من الفقهاء والادباء منهم السيد محمود شهاب الدين الالوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣ م) ولدي كثير من فتاويه واحكامه في اوائل الربع الثاني من القرن التاسع عشر للميلاد .

وله مساجلات ومراسلات نثرية وشعرية مع ادباء عصره وشعرائه منهم مخايل البحري الحمصي ، ونقولا الترك اللبناني ، واستاذه البربير .

وكان قاضياً ومفتياً في بيروت زمناً طويلاً . وتوفي فيها سنة ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤م) شيخاً . وأرّخ وفاته الشيخ يوسف الاسير الصيداوي ثم البيروتي بقوله :

هذا ضريح ضمنّ سيّد ... لآل فتح الله ينمى ، شريف .
في عصره قد كان علّامة ... صاحب فضل ومقام منيف ؛
والآن قد اصبح في برزخ ... ضيفاً لمولاه ، ونعم المضيف !
يرجى له رضوانه دائماً ... لانه هاد تقيّ عفيف ،
وعن لسان الحال ارّخ يفي ... في جنة الفردوس عبد اللطيف ،

ومن آثاره الباقية « مقاماته » في مكتبة المدينة لشيخ الاسلام في بلاد العرب تدلّ على بلاغته وتفننه ، كما اخبرني من وقف عليها . واما « ديوانه » بخط يده ، على الارجح ، فهو في خزانتي في ١٠٤ صفحات بقطع الربع وفيه منظومات جيدة . وقال عنه العلّامة المرحوم الاب لويس شيخو اليسوعي في كتابه « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » (١ : ٢٢) : « وكان شاعراً الا ان شعره مفقود» (اه). لانه لم يقف على ديوانه الذي وقفت عليه . وحبذا الوقوف على بقية آثاره واخباره فاننا بحاجة الى معرفة مثلها بالبحث .

واليك مثالاً من نظمه في القضاء والافتاء هو قوله :

لما تكلمت. كان النطق لي شركاً ، والنطق فخ لصيد الحاذق الفطنِ ،
وصرت في قنص الافتاء. محتبساً فيه اغتذى بسم الهم والحزنِ .
فقلتُ : اسكتُ عليّ ان يخلصني حسن السكوت من الاحزان والمحنِ .
فقلتُ : اجهل علماً . ان معرفتي لي آفة وبجهلي راحة البدنِ .
وقلتُ : ان متّ احيي في الدنى فرحاً ، من مات عاش بعيش طيّب حسنِ .
فلم يفدني شيئاً ما ذكرتُ سوى زيادة الهمّ ، والمولى يخلّصني .

وكأنه كان يذهب مذهب استاذه البربير بتجنب القضاء والافتاء لما فيها من تسخير الوجدان ومعارضة الحكام ولذلك قال النبي : « من ولي القضاء ذبح بغير سكين » وقال بعضهم : « المفتي موقّع عن الله تعالى » . وقال ابن المنكدر : « العالم بين الله وخلقه فلينظر كيف يدخل بينهم » الى كثير من امثال هذه الاقوال الدالة على التهيّب من القضاء عند السلف فكيف بالخلف . وقد قال الشاعر :

ان الفقيه اذا غوى واطاعه قوم غووا معه ، فضاع وضيّعا ،
مثل السفينة ان هوت في لجة غرقت ويغرق كل من فيها معا .

ومن شعر عبد اللطيف هذا قوله في مخايل البحري الحمصي صديقه الذي مدح استاذه البربير ، ببعض مقطوعات[1] قال بعدها .

نقمتُ الشعر ممتدحاً به الفاضل البحريّ ، جلّ بفضله ،
وسبكته كالدرّ فيه منظماً ، وقريحتي ليست تجود بمثله ،
قالوا رميت الدرّ في البحر الذي لم يستحقّ له وليس باهله ،
فاجبتُ ان الدرّ هذا اصلهُ ولكلّ شيء قد يعود لاصله .

وقال يمدح استاذه البربير ، وله فيه قصائد ومقطوعات عديدة منها جواب قصيدة جاءته من استاذه المذكور يعاتبه بها لما نوى الذهاب الى دمشق في طلب العلم ، وكان قد انقطع عن الذهاب الى منزله بعد ان كان يتخرّج عليه . فلما اطلع على عتابه نظم هذا الاعتذار ولم يقدمه له بل رجع يتلقى الدرس عليه وعدل عن الذهاب الى دمشق ، وهذا قوله :

---

١) راجع مجلة المشرق في ترجمة آل البحري (١٧:٣)

انا عبدٌ لكم في كل وقتٍ ، ولو اصبحتُ علَّام الزمانِ ،
فلولاكم لما قد رقَّ طبعي ، ولم ادرِ الثناء من المثاني .
فيكفيك الفخار على البرايا باقراري بذلك كلَّ آنِ .

وقال من قصيدة يمدح استاذه المذكور :

الفصيح الشهم ذو النظم الذي خرست نطقاً لديه الفصحا ،
احمد البرّ ، كذا البرّ الذي عدّ كسب المدح اسنى منحا ،
غارق في العلم الا انهُ في بحور الفضل حقاً سبحا ،
ذو بروج عاليات ما لها طرف بدر الافق يوماً طمحا ،
لو علمتُ العشر من اوصافه لم احط في عشره ممتدحا .

ومن قصائده واحدة يمدح بها احمد باشا الجزار والي عكا ويذكر رجوع عساكر نابليون بونابرت عليها اذ قال :

يا سعد عكا ، اذ رفعت منارها ، والفيل ترفع قدرهُ الآسادُ .
يا فخر عكا في البلاد ، فانما تاج البلاد وسورها وعمادُ .
وبك احتمت اموالنا وبلادنا ودماؤنا والعرض والاولادُ .
لو انكروا ما قد فعلت فانما انكار فضلك في الدنى الحسَّادُ .

الى ان قال :

يا ايها الجزار اعناق المدى يا من هو الساداتُ والاجدادُ

ثم يذكر انعطاف الجزار على اهل بيروت بقوله :

هم اهل بيروت الذين تزينت منهم بدرّ عطائك الاجيادُ ،
وملكتهم ، وودادهم لك صادق ما ان لهم فيمن سواك ودادُ ،
لا نقص فيه ، ولست فيه مشاركاً بل فيك دوماً لم يزل يزدادُ .
ولقد خدمتك مادحاً بقصيدة ، ومديح مثلك في الانام رشادُ .

وقصيدة اخرى صدّرها بمقدمة فصل فيها حروب الفرنسيس لعكا ثم ختمها باشعار قال فيها يصف بسالة الجزار :

تفرّ منه اسود الغاب حيث سطا ، وتختشي سهمه الطير الابابيلُ .
يكرّ كرّ الضواري وهي عادية ، وليس يجهدهُ كدٌّ وتثقيلُ .
لا يعرف الموت ، لو دارت سلافته وعمّ في قومه جرح وتقتيلُ ،

وقال يؤرخ ضريح المرحوم الحاج علي بك ، ابن الوزير الحاج محمد باشا العظم ، المتوفى بالطاعون سنة ١٢٠٧هـ والمدفون في الباب الصغير ، وكان الناظم اذ ذاك في دمشق :

التقى زاد العارف المستقيم ،	والرضا بالقضاء شأن الحليم ،
فعلامَ القصور عن درك نفع ،	والمنايا تنتال كل عظيم !
ها عليّ ابن الوزير الذي قد	ملك الشام بالطريق القويم ،
اخذته يد القضاء شهيدًا	فاجاب القضاء بالتسليم .
ولقد قلتُ للرضا : اين تبغي	مذ تبدّى بعزٍ مثل النسيم ،
قال : أرخ ادوم قبر عليّ	كرّم الله وجهه بالنعيم .

ومدح الشيخ عبد اللطيف شعراء كثيرون منهم نقولا الترك من دير القمر مدحه بقصيدتين في سنتي ١٢٢٦ هـ (١٨١١ م) وسنة ١٢٢٨ هـ (١٨١٣ م) قال من قصيدته الاولى وقد زاره في بيروت :

الا سقيًا لبيروت التي حكم	رقت اعلى على العزّ المنيف ،
بمولى شرّف الافتاء فيه ،	واشرق منبر الشرع الشريف ،
همام قام فيه العدل يزهو ،	واخمد كل ظلام جنوف ،
صفوا ما تبتغون من المزايا	وحسن الخُلق في «عبد اللطيف»

ومدحه ميخائيل البحري بقصيدة ذكر فيها استاذه البربير (المشرق ٣ : ١٧) الى غير ذلك مما لا محل لتفصيله الآن . ولكننا ذكرناه استطرادًا . رحمه الله واجزل ثوابه .

ارتفاع الصليب

ميمر منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم

٣١٣-٣٨٧م

نشره لاول مرّة، وعلّق عليه

الخوري بولس قرألي، مدير المجلة البطريركية

٢

البحث الاول

في نسخه واهميته (تابع)

٥ — المقابلة بين النصين

لهذه المقابلة اهميتها اولًا لمعرفة المصدر الذي اخذ الناسخان عنه . ثانياً للتثبّت من مصدر الزيادات في مخطوطة حلب وهل هي اصيلة ام دخيلة . ثالثاً لمعرفة اي النصّين أصحّ .

يلوح لاول وهلة ان النصّ الحلبي، المنسوخ في دير قزحيا سنة ١٥٥٨، مأخوذ عن نصّ بكركي الذي سبقه بقليل، وصاحبه احد كهنة حصرون القريبة من هذا الدير، ولعله كان ساكناً دير قنوبين في وادي قديشا، المجاور لدير قزحيا المذكور . بيد ان من تمعن في النصّين وجد ان الواحد لم يأخذ عن الآخر، بل ان كليهما أخذا عن مصدر واحد . نستدلّ على ذلك من اتفاق النصّين حرفياً، الّا في الفقرات الزائدة، التي ينفرد بها النصّ الحلبي، والتي نراها كلها غير ضرورية، بل غير معقولة ومتناقضة ومنافية لغرض صاحب الميمر . فهي اذاً دخيلة، خارجة من رأس الناسخ، أو بالاحرى من رأس مناظره او مناظريه . ويسهل على كل من له ادنى معرفة بالنقد ان يفرزها جانباً ويطرحها

خارجاً، فيعود النصّان الى الاتفاق التام. فان تثبتنا من ذلك حق لنا البتّ في ان نصّ بكركي أصحّ واقرب الى الاصل، واليــه يجب الاستناد في تعليقنا ودفاعنا، مع الرجوع الى النصّ الحلبي لتأييد روايته، واصلاح بعض الاخطاء النسخية فيه، وترميم ما ذهبت به العثة والايام من حروفه وكلماته.

واليك الادلة على قولنا :

١ً مطابقة النصَّين

تجد بين النصّين اتفاقاً غريباً حتى في الاخطاء. واليــك بعض الامثلة على ذلك، مع الاشارة الى الصفحات الواردة فيها[1] :

الاغلاط النحوية

« هي الـــذي » بدلًا من « هو الذي » ٩ و١٩٩ ــ « أزالــة » بدلًا من «أزالت» ١١ و١٩٩ ــ الذين شربون ١٧ و٢٠٤ ــ فتعجّبون ٢٠ و٢٠٦ ــ كل شيئاً ٢٨ و٢١٥ ــ كل لغةً ٢٩ و٢١٥ ــ ان يقتلون ٣٣ و٢١٦ ــ لما علم ابيه ٣٥ و٢٢١ ــ المسيح هو صلياً كلــه ٤١ و٢٢٨ ــ ذات يوماً ٤٣ و٢٢٩ ــ فوجدا حجر عظيماً ٥٧ و٢٤١ ــ يقال لها فهدً عظيم ٧١ و٢٤٩

اغلاط النقل

« يتلوهم » بدلًا من « يثلبهم » ٣٩ و٢٢٦ ــ « محل الاعتقـاد » بدلًا من « محل الاعتاد » ٧٣ و٢٥٠

الاصطلاحات

يضع كلاهما علامة التنوين فوق الحرف دون الاستعـانة بالالف : موضعً ١٥ و٢٠١ ــ مكتوبً ٢٠ و٢٠٦ ــ بقـلبً ٢١ و٢٠٨ ــ جمعً كثير ٤٦ و٢٣٢ ــ وقتً طويل ٦٠ و٢٤٢ ــ زمانً طويل ٦٧ و٢٤٥ . ويحـذفان غالباً الف جمع الماضي الغائب : جاو اي جاؤوا ١٣ و١٩٧ ــ رأو ١٧ و٢٠٤ ــ أتو ١٩ و٢٠٥ ــ وغير ذلك.

---

[1]) الارقام الصغيرة من ١-٧٤ تدلّ على صفحات النسخة الحلبية، والارقام الكبيرة من ١٨٧ حتى ٢٥١ تشير الى صفحات مخطوطة بكركي.

. ويكتبان اسم الانبا باخوس مستبدلين البـاء بالواو وواضعين نقطة فوق الكاف ليمنعا ترخيمها : ܘܐܦܐ ١٠,١٤,١٨ و١٩٧ و٢٠٠ و٢٠٤ و٢٠٥

ويكتبان تارة « اورشليم » وطوراً « يورشليم » حسب اللفظ اليوناني بحيث انهما يتفقان حيناً على كتابتها بالشكل الاول وآخر بالشكل الثاني٩,١٩,٢٢,٣٢ كما في ١٩٥ و٢٠٥ و٢٠٦ و٢١٨ ويفضّل ناسخ مخطوطة حلب كتابتهـا على النمط الاول حسب لفظ اللبنانيين.

وكلاهما يلقبان مريم العذراء برت مريم ܚܢܐ ܝܘܚܢܢ مع ان الترجمة الاصلية وُضعت في القطر المصري ، كما سنبيّنه.

٢ً اختلافهما

وهذا لا يعني ان ناسخ المخطوطة الحلبية ينقل عن مخطوطـة بكركي ، لانه يخالفه في بعض الاحيـان بطريقة تدلّ على انه لا ينسخ عنه بـل عن مصدر آخر ، هو مصدر مخطوطة بكركي نفسه.

فهو يتجنّب احياناً بعض الاغلاط التي يقع فيها ذاك . ففي صفحة ٤٦ كتب عن عـسكر قسطنطين انه رجع سالماً من الحرب « ولم ينثلم منه أحد » مع ان ناسخ بكركي كتبها في صفحة ٢٣٢ « لم يعلم » . وكتابتها على هذا الشكل واضحة في نسخة بكركي لا يسع الناسخ ان يخطئ في قراءتها.

وفي صفحة ٩ كتب « اسرعوا بنا » مع ان ذاك كتبها خطأً صفحة ١٩٥ « اسرعوا فينا » . وفي نص بكركي صفحة ١٩٢ « وكانوا يقولون لا بـد سوف يفتقدنا بالملك » . اما ناسخ المخطوطة الحلبية فكتبها في صفحـة ٦ على صحتها « ابن الملك ».

ومن اظهر الدلائل على ان هذا الاخير لا ينقل عن الاول بل ان كليهما نسخا عن مصدر واحد ما جاء في صفحة ٥٤ من النص الحلبي « وطلع بهم الى محل عالٍ » . فدهشنا لاصابته في حذف الياء للتنوين ، ولما راجعنا نص بكركي صفحة ٢٤٨ رأينا ناسخه قد كتبها اولاً عالٍ حلاً ، ولجهله قواعد العربية ظن نفسه على خطأ ، فعمد الى حرف اللام وكشط السن الثانية منه وابدلها

بياء ، فاصبحت حلاحد

وقد وافق ناسخ قزحيا مخطوطة بكركي في كتابة الاشهر القبطية ووضع ما يقابلها عند اللبنانيين او السريان[١] وخالفه في غير مواضع.

ففي صفحة ٦٦ كتب « شهر توت » مع ان ناسخ بكركي أبدله باسم « أيلول » صفحة ٢٤٦ . وقال في صفحة ٧٠ « شهرتوت على رأي المصريين » واكتفى ناسخ بكركي بقوله « ايلول » . وبالعكس فقد كتب في صفحة ٥٧ « شهرتوت الذي هو ايلول » لانه يشتغل للحلبيين ، مع ان ناسخ بكركي أبقاها صفحة ٢٤١ « توت » بدون تفسير.

كذلك اضاف ناسخ دير قزحيا صفحة ٥٥ على كلمة « آلة الحفر » التي امر قسطنطين اليهود بان يجلبوها معهم ، كلمات « ومعادير وابياك ومجارف » . وفسّر كلمة « طوريه » المصرية التي وردت في صفحة٢٤١ من نسخة بكركي ، فقال صفحة ٥٧ : « طوريه اي معدور »

كذلك نقل بعض كلمات على حسب اصطلاح كتابتها في العربية مخالفاً في ذلك ناسخ بكركي . فقال « البارقليط » ص ٢٩ بدلاً من « فارقليط » ص ٢١٥

وخالف ايضاً مواطنيه خاصة ، والسريان عامة في كلمة « البطاركة » التي تعني عند اليونان واللاتين جدود العبرانيين . فقال في صفحة « « الآباء البطاركة والانبياء » ولا بد انه وجدها هكذا في النسخة التي نقل عنها . اما ناسخ بكركي فاكتفى في صفحة ١٩١ بكلمتي « الآباء والانبياء » . كذلك لقب ناسخ مخطوطة حلب اسحق والد يعقوب « باسحاق البطريرك » مع ان ناسخ بكركي سماه في صفحة ١٩٧ « رييس الآباء » . ولا يخفى ان هذا اللقب (البطريرك) يخصّص عند الموارنة والسريان والشرقيين عامة برئيس الطائفة ولا يطلق على احد جدود العبرانيين.

---

١) لا تنسَ ان المترجم من السريان القاطنين في وادي النيل.

٣ً الفقرات الدخيلة

اذا استثنينا الفقرات الدخيلة في النصّ الحلبي اصبحت الاختلافات التي ذكرناها طفيفة تحدث في كل نقل ، فلا يجوز نسبتها الى اختلاف المصدر لان النصّين ، في ما عدا ذلك ، متفقان حرفياً حتى في الاغلاط ، كما بيّناه سابقاً . ولا يمكننا ان نفسّر كيف ان النص الحلبي ماشى نصّ بكركي حرفياً ، ثم يشطّ عنه فجأة في الروايات الدخيلة ، الا اذا قدّرنا انه نقل من المصدر نفسه ، وانه لقي هو أو مناظروه تلك الروايات ، أو انهم اخذوها عن مصادر غير ميمر القديس كيرلّس ، كالنشرات السريانية القديمة الحاوية لقصة اكتشاف الصليب ، التي سنقول فيها كلمة خاصة . ونحن نرجح ان معلمي الناسخ أملوها عليه عن حسن نيّة ، وانهم اخذوها عن كتب اليعاقبة مجاوريهم في قريتهم بقوفا ، كما تقدّم القول ، وفي ظنهم انهم يزيدون بها الميمر رونقاً وتأثيراً وحجته قوةً . ولم يدروا انهم بذلك قد شوّهوه وجعلوا نصّهم غير موثوق به ، الا في ما طابق نصّ بكركي . وان كنا نشكّ في بعض عبارات وروايات وردت في نصّ بكركي نفسه ، ونعزو دخولها الى تداول النساخ للميمر مدة ستة عشر قرناً ، فلا يسعنا ان نقبل تلفيقات زميله دون ان نضطرّ الى طرح الميمر برمته جانباً كسلعة لا قيمة لها . والغريب في النصّ الحلبي انه يسير ونص بكركي جنباً الى جنب في الصفحات الثلاثين الاولى ، ويبدأ بعد ذلك بالابتعاد عنه حيناً ، ثم بالعود الى مصاحبته حيناً آخر ، حتى اذا عنّ له ما خاله حسناً تخلّف عنه الى ان ينتهي من حكايته . وهكذا دواليك . ويظهر ان اليسير الذي اضافه المعلّم المرة الاولى صادف عند رفقائه ، او عنده ، استحساناً شجعه على المضيّ الى أبعد منه . لاننا نجد في بدء الامر كلاماً وعبارات مغايرة لنصّ بكركي ، ثم يتعدى ذلك الى فقرات ، ومنها الى روايات برمتها خارجة عن الموضوع . ومع ان عبارة الترجمة ركيكة مشحونة بالاغلاط النحوية والصرفية فعبارة هذه الروايات احطّ منها واكثر خطأً . فضلاً عن ان موضوعها سقيم صبياني عقيم . واليك بعض الامثلة .

في صفحة ٤٤ ، بعد أن سرد النص الحلبي رؤيا قسطنطين الملك ليلة المعركة الفاصلة ادّعى ان الملك أسرّ بها الى والدته القديسة هيلانة كأنها صحبته الى معامع الحروب . ولم يعرف أن يضع في فمها ملاحظة او جواباً ما ، كأنها لم تأبه لهذه الرؤيا السموية ، التي جعلت ابنها امبراطور العالم ، وكانت فاتحة انتصار المسيحية على الوثنية .

وفي صفحة ٤٨ ، يضع على لسان هذا الملك مديحاً للصليب قبل اكتشافه، لا يعقل أن يقوله ، وهو لم يتنصر بعد ، ولم يعرف من الصليب سوى رسمه : « أنا عالم انه يخلص الكنيسة وكل اولادها من الشيطان وجميع حباله وأنا باعلم (اي اعلم) ان في هذا الصليب الذي أنا طالبه فهو يهب لي القوة على كل اعدائي » . ويتابع طريقه على هذا النسق السقيم رأياً وتعبيراً .

ويروي ، في صفحة ٤٩ ، أن الملكة هيلانة لما تحققت عزم ابنها على الذهاب الى اورشليم للبحث عن الصليب ، أرسلت منادياً ينادي في اهل رومية ليصحبوها في هذه المهمة . ويردف قائلاً : « فاجتمع خلايق عظيمة في طلب الصليب وساروا الى بيت المقدس » كأن المسافة بين رومية والقدس بضعة اميال على اليابسة .

وفي هذه الصفحة ان قسطنطين طلب الى اليهود ان يدلّوه ، لا على مكان القبر والصليب فحسب ، بل على « الحربة واكليل الشوك والاكفان » .

وفي صفحة ٥٩ بعد ان اثبت التاريخ نصّ وصية يوسف الرامي ونيقوديموس التي تركاها في القبر حيث خبأا الصلبان ، اضاف النص الحلبي على لسانهما فقرة يحذّان فيها من يجد هذه الصلبان ان يضعها على جثة ميت فيعرف صليب المسيح ، مع انهما سبقا فنبها ان صليب المسيح هو حامل الكتابة .

وفي صفحة ٦٠ ان الملكة هيلانة بعد ان اكتشفت الصليب « صارت تقبله وتضعه على عينيها » ، مع ضخامته .

وما يضحك الثكلى حديث الميت ، الذي قام من لمس الصليب ، عن الجحيم وعن العذاب الخاص المعدّ لليهود في جهنم تكفيراً عن جناية آبائهم صالبي السيد المسيح . (صفحة ٦٢)

. وفي صفحات ٦٤ـ٦٦ مديح آخر للصليب بفم قسطنطين ، فيه من الاختلاقات والغرائب ما لا يقبله عقل . وقد نسي الناسخ انه يتكلم باسم قسطنطين فقال في صفحة ٦٥ : « يا اخوتي ... »

ونحن نحمد الله لظهور هذه المبالغات والسخافات والمناقضات في الفقرات الدخيلة ليسهل علينا تميزها عن الاصل . وامامنا عقبات كأداء سنضطر الى تمهيدها ترجيحاً لصحة نسبة هذا الميمر الى القديس كيرلس الاورشليمي، الواصل الينا بحالة يرثى لها من الغموض والترقيع ...فان تيسر لنا التخلص منها ، بحجة اجتياز الميمر ستة عشر قرناً وتقلّبه في ثلاث لغات مختلفة النسق والاصطلاح ، لا يسعنا التماس العذر لمعلمي راهب تزحيا ، وان كانوا من مواطنينا وبطاركتنا، على حشرهم دفعة واحدة في هذا الميمر كلمات وجملاً وفقرات وروايات يعسر علينا ابتلاعها لكبر حجمها ، فكيف نستطيع هضمها.

هذا لا يعني ان نصّ دير تزحيا المحفوظ في قلاية حلب المارونية لا قيمة له ولا فائدة ترجى منه ؛ بل بالعكس ، اذا طرحنا منه كل هذه الثقالات ، اصبح لنا عوناً كبيراً في التثبت من نص الترجمة العربية الاصلي وفي تلافي اخطاء نصّ بكركي وسدّ نواقصه.

٦ ــ القديس كيرلس الاورشليمي

قبل ان نخوض في درس هذا الميمر وردّ هجمات المعترضين عنه ، لا بدّ لنا من كلمة نقولها في واضعه وعصره ، وفي اهميته من الوجهتين الدينية والتاريخية ، توصلاً الى تعزيز بعض مراكز هذا الدفاع ، وتعيين المكان والزمان والوسط الذي أُلقي فيه.

١ ــ القديس كيرلس

وُلد القديس كيرلس اسقف اورشليم في عصر ولدت فيه البدع وتعددت وتضاربت ، فشوّشت افكار العالم المسيحي واضرت به اكثر من الاضطهادات

التي توالت عليه ثلاثة قرون ، منذ نشأته حتى عهد القديس . امات الاضطهاد الاجساد ، اما هي فقد اماتت النفوس . هو شدّد عزائم الكنيسة ، اما هي فقد هدّتها هدًّا . ما إن اعلن قسطنطين ايقاف الاضطهاد سنة ٣١٣ وأراح الكنيسة من شبحه حتى جاءت عقارب الاضاليل تدبّ في جسمها دبيبها ، فاقلقت راحتها ولم تستعدها البتة.

واولها واخطرها الاريوسية . انكرت الوهية المسيح ، فجعلته صنماً يُعبد او انساناً يؤلّه ، اي انها حاولت تحويل النصرانية الى الوثنية. لقيت في القديس كيرلس محارباً جريئاً ، قوي الحجة ، فصيح العبارة ، نيّر العقل ، واسع العلم. حاربها فحاربته. حطته عن كرسيه ونفته ست عشرة سنة ، الا انها لم تكمّ فمه ولم تطمس تعاليمه ، بل خلدتها. عدّه العلماء باسلوبه وانشائه من لاهوتيي انطاكية ، وقد قضى بها شطرًا من غربته ، وعدّته الكنيسة من اقدم واكبر معلميها . ولعله اكبرهم لأقدميته عليهم. فالوارث ليس كالفاتح ، واللاحق ليس كالسابق. لانه اول من بسط عقائد النصرانية وشرح غوامض أسرارها باسلوب واضح فلسفي ، اي انه اول من وطدها على دعائم منطقية منظمة.

ولد القديس كيرلس في اورشليم او في ضواحيها[1] حوالي سنة ٣١٣او٣١٥ ، لان كتاباته تدلّ على معرفته بحالة الاماكن المقدسة قبل ان يرمّمها الامبراطور قسطنطين في سنة ٣٢٦ . وأكبر الظن انه مارس منذ شبابه الطريقة الرهبانية . وهو ان لم يسكن ديرًا ولا انزوى في البرية ، فقد عاش عيشة عفاف وزهد وتقشّف ، ساعياً في نضارة عنفوانه الى الكمال المسيحي بتقوية النفس على الجسد . فاستحق ان يتشرف بلقب النساك والرهبان وان لم يكن بحصر المعنى من طغمتهم.

اقتبل الكهنوت من يدي القديس مكسيموس ، اسقف اورشليم ، وعكف

---

١) نأخذ معلوماتنا عنه من مقالة للاب لباشله X. Lebachelet اليسوعي ، نشرت في قاموس اللاهوت الكاثوليكي لفاكان ومنجنو تحت اسم هذا القديس *Dictionnaire de Théologie Catholique par* A. Vacant *et* E. Mangenot. Imp. Letouzey. Paris, 1908. T. III, col. 2527-2577

على الوعظ والارشاد فنال شهرة سريعة ومكانة عالية أهلته الى أن يخلفه حوالي سنة ٣٤٨ على كرسي المدينة المقدسة ، وان يحيي ذكرى واعمال قداسته. وفي بدء اسقفيته ، في السابع من ايار سنة ٣٥١ ، ظهر في سماء اورشليم صليب كبير من نور شاهده كل سكانها . فكتب القديس الى الامبراطور قسطنس ابن قسطنطين يبشره بهذه الاعجوبة الباهرة ، التي ظهرت على عهده، كما ظهرت خشبة الصليب المقدس على عهد ابيه . وحالما مسك مقاليد الرعية حوّل همه الى النشأة الحديثة موضوع آمال النصرانية، فتولى بنفسه ارشادها في التعاليم المسيحية وتسليحها ضد الاضاليل المتفشية في ذاك العهد . فكان يجمع في كنيسة القيامة ، ابان صوم سنة ٣٤٨ ، الاحداث المعدّين لاقتبال سر العماد في فصح تلك السنة ، ويُلقي عليهم العظات التي خلدت اسمه ، شارحاً لهم عقائد الدين الاساسية باسلوب سهل ولهجة تختلج فيها نبرة الحماسة والعطف الوالدي ، فتقرّبها الى اذهان سامعيها وقلوبهم . وبعد ان اقتبل تلاميذه اسرار العماد والتثبيت والقربان عاد فجمعهم في معبد القبر المقدس . وعلى ذاك الضريح ، الذي حلّ فيه فادي الانام واظهر فيه مجده ، القى عليهم ثماني عشرة عظة اخرى شرح لهم فيها غوامض هذه الاسرار ، وهي مع ما سبقها تُعدّ من اثمن المصادر لمعرفة آراء الكنيسة في ذاك العهد في عقائدها، وفيها من المعلومات التاريخية والتقليدية ما لا يقوّم بثمن.

وقد شاءت اخلاق البشر ان يختمر الحسد في صدورهم لدى رؤية الفوز ، ادبياً كان ام مادياً . أولدت شهرة القديس حسد المبتدعين ، لانهم رأوا فيه هادماً لاضاليلهم وآمالهم فانقلبوا الى اعداء . وفي مقدمتهم اكاكيوس ، اسقف قيصارية وميتروبوليت فلسطين . هذا كان من اكبر الساعين في ترقية كيرلس الى كرسي اورشليم ، على ان يكون بفصاحته وسعة علومه من اكبر مشايعيه في بدعة الاريوسية . وما عتم ان خبر فيه اكبر مناوئ لآرائه ومزاحم على سلطته ونفوذه . فعمد الى معاكسته ، والتدخل في شؤون أبرشيته . واذا بالقديس يصد له ويصارحه بامتيازات كنيسة اورشليم أمّ جميع الكنائس واستقلالها عن سلطته . ولما بلغ النزاع أشدّه جمع اكاكيوس عليه مجمعاً من

الاساقفة اتهمه فيه بتبديد اوقاف الكنيسة وحطّه عن كرسيه ، واستصدر من الملك قسطنس امرًا بنفيه . وفي الحقيقة كان القديس كيرلس قد اضطرّ في احدى سني المجاعة الى بيع بعض اوانٍ كنسية لاطعام الجائعين من رعاياه . فذهب ضحية حنانه واستقامة رأيه.

قضى القديس السنة الاولى من منفاه في انطاكية ، حتى اذا توفي بطريركها لاونطيوس انتقل منها الى طرسوس ، حيث لقي في اسقفها سلوانس مضيفًا وصديقًا ومحاميًا . فسمح له ، بالرغم من احتجاجات اكاكيوس ، باستعمال الحبريات في ابرشيته وبالقاء المواعظ . ثم سعى له ، مع بعض محبيه ، بالعود الى كرسيه اورشليم سنة ٣٥٩ . بيد ان اكاكيوس تغلّب عليه في السنة التالية وأعاده الى المنفى ، فلبث في انطاكية حتى وفاة قسطنس سنة ٣٦٢

وكانت تنتظره في اورشليم صعوبات جمّة . فقد شاهد رعيته في اضطراب من المراطقة ، ووجل من اليهود الذين تقوى ساعدهم بالامبراطور يوليانس الجاحد ووطّدوا النية على اعادة هيكل سليمان . فأعلنهم القديس بالفشل ، وصدّقت الايام نبوءته . وقد حصر جهده بعد وفاة يوليانس في اصلاح شؤون رعيته . ولما مات اكاكيوس توصل الى تقليد صديقه فيلومينوس وظيفته.

وفي سنة ٣٦٧ استصدر المبتدعون امرًا من الامبراطور والنتيوس (٣٦٤—٣٧٨) بتنزيل كل الاساقفة الذين أبعدهم الملك قسطنس وعادوا بعد وفاته الى ابرشياتهم . فاضطر القديس كيرلس ان يترك للمرة الثالثة رعيته المحبوبة حتى سنة ٣٧٨ التي توفي فيها الامبراطور المذكور . قضى هذه المدة على الارجح في انطاكية . ولما عاد الى ابرشيته وجدها بحالة يرثى لها لتناوب الاساقفة الهراطقة عليها وتفشي المفاسد فيها . لان فساد الاخلاق يتبع دائمًا فساد الآراء . ولو اقتصرت البدعة على النظريات لهان امرها ، بيد انها تتخطى دائمًا الى الآداب، كأن التبسط بلا ضابط في حرية الفكر يؤول حتمًا الى التبسط في حرية السلوك.

وفي سنة ٣٨١ حضر القديس كيرلس مجمع قسطنطينية الاول ، وهو ثاني المجامع المسكونية ، بعد المجمع النيقاوي . وكان له في عقده واعماله اليد الطولى ، حتى ان الاساقفة ، الذين اجتمعوا بعد انفضاضه لاذاعة مراسيمه

وتنفيذها ، كتبوا الى البابا الدمشقي Damasus مادحين من القديس وشاهدين بصحة رسامته وآرائه ، ممثلينه كأكبر مناضل عن الرأي القويم ضد الاريوسيين. وقد اتبرا كنيسة اورشليم «بأم كل الكنائس».

جاور القديس مولاه في سنة ٣٨٧ في السبعين من عمره او الاثنتين والسبعين، بعد اسقفية دامت خمس وثلاثين سنة ، قضى منها ست عشرة سنة في المنفى . انما قضى حياته كلها في الجهاد : الجهاد الداخلي ضد ذاته ، والخارجي ضد الخوارج على الكنيسة . وما يُذكر لمبالحسنى انه كان مسالمًا، لم يتعرض قط في حياته للاشخاص ، مهما كانت آراؤهم وسيرتهم على فساد ، املًا في استجلابهم يومًا الى الرأي المستقيم واصلاحهم . اما حساده فقد حاربوا دومًا آراءه في شخصه.

وكأن الاشخاص المضطهدين لنبوغهم وفضلهم لا يُنصَفون الا بعد موتهم ، فيصبح موتهم الطبيعي حياتهم الادبية . فقد رفعت الكنيسة الشرقية القديس كيرلس الى مصافّ اكبر قديسيها ومحاميها ، وعينت لـه الثامن عشر من ايار تذكارًا خالدًا . وشغف لاوون الثالث عشر بسموّ تعاليمه وقدَّر له جهاده حق قدره فعمّم في سنة ١٨٨٢ عيده على الكنيسة جمعاء ومنحه رسميًا لقبه « ملفان الكنيسة ».

وسنقول كلمة في طريقته وآرائه لاثبات نسبة هذا الميمر اليه . ونبدأ اولًا ببيان اهميته.

(له صلة)

الامثال والاساطير اللبنانية

المختصّة باشهر السنة الشمسية

بقلم لحد خاطر

التشرينان

جَمَعتُ الاساطير والامثال اللبنانية بين شهري تشرين كما جَمَعتُ بين شهري كانون، لذلك آثرتُ الكلام عن التشرينين في فصلٍ واحد، كما تكلمت عن الكانونين:

تشرين من «تشرينو» الكلدانية التي معناها «الابتداء»، سمي بها تشرين الاول بداءةً، لانه كان مطلع السنة او ابتداءها. يقابل تشرين الاول من الاشهر الافرنجية «اوكتوبر». كان الرومان يحتفلون فيه بعيد آلهة الخمور والحقول والرعاة لانه الزمن الذي يتم فيه استخراج الخمر وتُسمَّن الماشية ويباشر القاء الزرع في الارض، وكان يرمز اليه بصورة صيّاد عند قدميه ارنب وفوق رأسه عصافير، والى جانبه دنّ خمر، اشارةً الى ما يتمّ فيه من الصيد وقطف العنب وصنع الخمور.

اما تشرين الثاني فيقابله من الاشهر الافرنجية «نوڤمبر»، فيه تدخل الشمس برج «الرامي» وهو متوسط الخريف ويسميه الانكليز شهر الرياح، وكان الرومان يدعونهُ شهر بداءة الشتاء، وقد خصّوه بمعبودتهم «ديانا» ومثّلوه بهيئة كاهن للاله ايزيس

وفي لبنان تتدرّج الطبيعة في هذين الشهرين من الصيف الى الشتاء، فتبدأ رويدًا رويدًا بخلع محاسن الصيف وبهارجه والظهور باكفهرارها الباعث على الانقباض والوحشة، وكلما مضى منهما يوم قرب الشتاء. والطقس البارد، ويشتدّ البرد عادةً في طرفي النهار والناس لم يتعودوه بعد فينالهم منه ضرر، لذلك قالوا: «برد التشارين، يبهر المصارين»

وقد تكثر بسبب هذا البرد النزلات الوافدة والزكامات والالتهابات الصدرية مما يوجب الانتباه والتوقي ، وقد قالت العامة في ذلك : «برد التشارين توقّاه ، وبرد الربيع تلقّاه »

وفي المناطق العالية يبقى من الغلال والثمار ما يستغل في التشرينين ولاسيما العنب الزحلاوي ، ويقال في تلك الانحاء : « في تشرين ، ودّع العنب والتين ». ولكن الوسائط التي اخذوا اليوم يستعملونها لحفظ العنب من اضرار المطر والبرد قد تبقيه الى شهري كانون.

وقد يحدث في التشرينين ، رغم ما قدّمناه عن تقلّص ظلّ الصيف وظهور الشيب في هام الطبيعة ، ان يطول الصحو وتتوالى الايام الجميلة حتى لقد يظن المرء نفسه في صيفٍ جديد ، وقد قالوا في ذلك : « ما بين تشرين وتشرين صيف ثانٍ »

وفي التشرينين تشحّ الينابيع والانهار لطول عهد الصحو حتى تكاد تنضب ولكن الماء يطيب لما يمازجه من برودة ، وقد اعربوا عن ذلك بقولهم : « اللي ما شبع من العنب والتين ، يشبع من ماء التشارين »

ويواصل الفلاحون اللبنانيون من مطلع تشرين الاول استعداداتهم التي يكونون بدأوا بها من ايلول لمباشرة الحراثة فيجدّدون سككهم ومعاولهم ويُعِدّون الانيار والمحاريث والبذار من مختلف الحبوب والعلف لماشيتهم وغير ذلك من العدات التي يحتاجون اليها في مهامهم الزراعية ، ويستدلّون على قرب وقوع الشتاء وارتواء الارض بظهور زهرة بيضاء جميلة المنظر سريعة الذبول تظهر عادةً في تشرين الاول تسمى باصطلاحهم « الوَحْوَاح » فاذا رأوها هتفوا قائلين : «هبيّ بركك يا فلاح ، طلع الوَحْوَاح » ، وفي التشرينين «يشحّلون» التين بعد انتزاع ورقه وحفظه علفاً للماشية ويقولون في ذلك : « شحالة التين ، في التشارين ».

وفي تشرين الثاني تموت الهوامّ والحشرات وتختفي الدبابات والزحافات والافاعي لقرب هجوم المطر ، ويقولون في ذلك : « جاء تشرين الثاني ، وما عدنا نشوف لا حيّة ولا برغشة ولا دبّانه »

وفي آخر تشرين الثاني تقصر الايام قصرًا عظيماً ، وفيها يستقطر الزيت ، ويسميها اللبنانيون : « نهارات الزيت ، اصبحت امسيت » ويقولون ايضاً : « بنهارات الزيت ، بالكاد المرأة الشاطرة تطبخ وتكنس البيت » اي ان هذه النهارات تمرّ سراعاً فلا يكاد الصبح يطلع حتى يهجم المساء.

ولهم في استخراج الزيت عبارات اصطلاحية تدلهم على الطريقة الفضلى فيه ، من هذه العبارات قولهم : « ن عفّن زيتونك في بيتك ، حَدْحَدْ زيتك» اي صار طعمه حريفاً

ومنها : « حوّش ورصّ ، مشّق وسبّح » ومعناه : « الزيتون المقطوف باليد اصلحه «مسبّحاً» اي معقماً بالماء والملح،والمنتثر تحت الاشجار استعمله «مرصوصاً».

ومنها : « مسبّح السقي ، ومرصوص البعل » ومعناه : الزيتون البعل اصلح « للرصّ » والزيتون السقي اصلح « للتسبيح »

ولهم ايضاً عبارات مثل هذه يرددونها في استقطار العرق ، منها قولهم : « كلما زاد حلو عنبك ، زاد تطر خمرك » و« كلما حلتْ الثمرة ، طابت الخمرة» اي ان العنب الناضج اصلح للخمر من غير الناضج واغزر عائدة .

ومنها : « متى صرت تشوف وجهك بالدغار قيم على النار » اي اترك العنب المنقوع للعرق ريثما يصفو كالمرآة ثم انقله الى الانبيق واستخرجه

ومنها : « نار العرق لهبة سراج ، وحاج » اي استقطر العرق على نار خفيفة كضوء السراج.

ويتخوفون من المرض في التشرينين لان الاجسام تقبل بعدهما على ايام البرد فلا تستعيد عافيتها بسهولة ، ويقولون : « اذا مرضت في تشرين ، لا تشفى حتى تجري الدموية ، في الربيعية ».

وفي اواخر تشرين الاول تصاد السماني وانواع العصافير والطيور. والصيادون في لبنان قسمان :

الاولون الغواة او الهواة الذين يقدمون على الصيد اجابة لميل مركب فيهم يجدون باتباعه مسرة ولذة ، والآخرون يتبعون ذلك قصد الربح من بيع ما يصطادون ، وهذا لا ينفي ان يكونوا من الغواة الهواة ايضاً ولكن اهل

البلاد تعودوا المزء بن اتخذ الصيد مهنةً للتعيش لانهم وجدوها من المهن القليلة الربح ، وقد قالوا في ذلك: «قطاع الهيش، ونتاف الريش» لا يحمد امرهما ولا ينجحان ، ويريدون بقطاع الهيش الحطاب ، والحطاب عادةً يكون كالصياد فقيرًا صعلوكًا سُدّت في وجهه ابواب الرزق فاضطر الى الالتجاء الى هذه المهنة التي لا تسدّ رمقًا رغم ما تقتضيه من الاتعاب والجري في البراري.

وللبنانيين روايات يتسامرونَ بها عن الحطابين منها الرواية التالية :

قيل ان حطابًا كان يجمع حطبًا ذات يوم فمرَّ به امير كان يتصيد واذ رأى ما يكابده من العناء في مهنته رقَّ له وسأله عن مقدار ربحه كل يوم قال : اطال الله بقاء سيدي الامير ، اني اربح كل يوم من عملي مالًا اعيش بقسم منه ، واني بقسم آخر بعض ديني ، وادين منه القسم الثالث ، والقسم الرابع ارميه في البحر . فتعجب الامير من جوابه وسأله ايضاح ذلك . قال الحطاب : اعلم ايها الامير اني اربح كل يوم اربعة غروش ، اعيش بواحد منها وانفق واحدًا على والديّ وفاء لما انا مدين به اليهما من حق التربية ، وواحدًا على اولادي الذكور فادينهم اياه على امل استيفائه منهم متى كبروا وعجزت ، وواحدًا على اولادي الاناث وهو الذي قلت اني ارميه في البحر لاني لست اعلم ماذا سيكون من امر بناتي هولاء بعد زواجهن وهل يكنّ بارات بي فيفينني ديني ام لا . فأعجب الامير بجواب هذا الحطاب الذكي واجازه.

وفي اول مطرة من تشرين تروى الارض فيظهر البزاق ويسميه اللبنانيون «المرينات» او «البرينات» واحدتها مرينة ، ويدور اولادهم في البراري يجمعونها وهم ينشدون: «يا مرينة يا مرون ، اطلعي لي باربع قرون ، باعت السلطان يقول بده مرينة زغيّره ، قدّ راس السلطعون . »

واللبنانيون لا يأكلون جميعًا البزاق،فان فريقًا منهم يعافهُ ويتقزز منه،وآخر يستطيبه ويستمرئهُ ولا سيا على موائد الشراب ، ومنهم من يمتهن التقاطه وعرضه للبيع في اسواق المدن فيصيب منه ربحًا.

انتهى

ابن عبد ربه و« عقده »

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبّور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

(تتمة) ١٢

الغزل (تابع)

ويجب ان نذكر هنا ان ابن عبد ربه — على هذه القيود المختلفة التي قيد بها نفسه — قد وفق في بعض مقطوعاته الغزلية . وليس غريباً ان يكون بعض الشعر الموضوع لغرض خاص علمي او مادي ممثلًا لعاطفة صادقة قويّة. فقد يكون بعض شعر المدح مأجورًا ويكون بالوقت نفسه صادق العاطفة صحيح العقيدة . ويكون بعض شعر الغزل تمثيلًا وتخيلًا .ويكون جميل الصورة قوي الخيال ، سائغ المعاني ، صحيح العاطفة ، صادرًا عن نفس حساسة تتمثل ما الفته وعانته فتحسن التعبير عنه . وقد لاحظنا ان ابن عبد ربه قد وفق في معارضته لصريع على تأثره له من ناحية القافية والبحر وبعض الالفاظ والمعاني والاستعانة بالبديع وعلى كونه لم ينظم معارضته هذه اثر حادثة خاصة مع حسناء خاصة .

واعل من الخير ان نروي لك بعض هذه المقطوعات :

من محبّ شفّه سقمه ، وتلاشى لحمه ودمه ،
كاتب حنت صحيفته ، وبكى من رحمة قلمه ،
يرفع الشكوى الى قمر ينجلي عن وجهه ظلمه .
من لقرن الشمس جبهته ، ولـلمع البرق مبتسمه .
خلّ عقلي يا مسفّهه ، ان عقلي لست اعمه .
« للفتى عقل يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه . » (١

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٠١

وقوله :

اعطيتُه مـا سألا ، حكمته لو عدلا .
وهبته روحي ، فـلا ادري به مـا فعلا ؟
اسلمته في يـده عيّشه ام قتـلا ،
قلبي بـه في شغل لا ملّ ذاك الشغـلا
« قيّـده الحب كما قيّد راعٍ جملا » (١

وقوله :

يا مقلة الرشأ الغرير ، وشقة القمر المنير ،
ما رنقت عيناك لي ، بين الاكلة والستور ،
الا وضعت يدي على قلبي ، مخافة ان يطير .
هبني كبعض حمام مكّـ ـة، واستمع قول النذير :
« أبنيّ لا تظلم بمكّـ ـة لا الصغير ولا الكبير » (٢

واذا تعدّينا هذه المقطوعات التي لم يوفق في اكثرها ، وجزنا هـذا الشعر الذي تحدّى فيه بعض شعراء الشرق مكتفياً بتقليدهم ، ودرسنا ما بقي من شعره الغزلي نرى فنّه هذا واضحاً جليًّا . وهو في هذا الشعر يمثل الفن الاندلسي بوجه عام من حيث تفوقهم بالوصف والخيال ، ومن حيث الجزالة والسهولة باللفظ والرقة واللين والعذوبة ، وعدم تحميلهم اياه اكثر مما يطيق من المعاني . ونرى في شعره هذا عاطفة قويّة صادقة لم نعرف مثلها في شعره في الهجاء والمدح والزهد واسمع قوله في الفراق :

ودعتني بزفرة واعتناق ، ثم نادت : متى يكون التلاقي !
وتصدّت ، فاشرق الصبح منها بين تلك الجيوب والاطواق .
يا سقيم الجفون من غير سقم ، بين عينيك مصرعُ العشّاق .
ان يوم الفراق افظعُ يوم . ليتني متّ قبل يوم الفراق ! (٣

او قوله :

هيّج البين دواعي سقمي ، وكسا جسمي ثوبَ الالم .
ايها البين ، أقلني مرةً ، فاذا عدت فقد حلّ دمي .
يا خليَّ الذرع ، نَم في غبطة ، ان من فارقته لم ينم .

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٠٨
٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٠٦
٣) ابن عبد ربه ٣ : ١٨٢

ولقد هاج لقلبي سقماً ذكرُ مَن لو شاء داوى سقمي (١

تحسّ ان هذه العاطفة قوية عنيفة ، وهذه المعاني سائغة محبّبة الى النفس ، مع انها تصف الم الفراق ، وترَ هذه الالفاظ رقيقة عذبة سهلة ملائمة موضوعها.

ونظرت اليه فتاة تبكي فقال فيها شعرًا منه :

وكانما غاص الاسى بجفونها حتى اتاك بلؤلؤ منثور (٢

وفي هذا البيت تعبير جميل لمعنى مألوف وضعه بشكل يكاد يكون مبتكرًا تخيل فيه الاسى غوّاصاً في الجفون عائدًا بلؤلؤ منثور . وقد اعجب هو نفسه بشعره هذا ، وقال عنه «انه من رقة التشبيب وحسن التشبيه والبديع الذي لا نظير له والغريب الذي لم يسبق اليه .»(٣

وقال ايضاً :

ادعو عليك ، فلا دعاء يسمع ، يا من يضرّ بناظريه ، وينفعُ .
للورد حينٌ ليس يطلع دونه ، والورد عندك كل حين يطلعُ .
لم تتصدع كبدي عليك لضعفها ، لكنها ذابت ، فما تتصدع .
من لي باجرد ما يبين لسانه خجلاً ، وسيف جفونه ما يقلع ،
منع الكلام سوى اشارة مقلةٍ فيها يكلمني ، وعنها يسمع (٤

وله ابيات نختم بها كلمتنا في شعره الغزلي ، لا يكاد يفرغ منها القارئ الا ويحسّ بالاعجاب فيها ويشعر ببراعة ابن عبدربه في التعبير عن شعوره وحبه.

بزمام الهوى امتّ اليه ، وبحكم انمقار اقضي عليه ،
بابي من زها عليّ بوجهٍ كد يدمى لما نظرت اليه !
ناول الكاس واستمال بلحظٍ فسقتني عيناه قبل يديه. (٥

---

١) ابن عبد ربه ٣: ١٨٢ : اما الثعالبي (١ : ٣٥٧) فيروي هذه الابيات والتي سبقتها لرجل باسم « حبيب بن احمد الاندلسي » . ولعله قد اخطأ في نقله الاسم فقلب « احمد بن حبيب الاندلسي » الى ما ترى . لاسيا وان ابن عبد ربه يقول في عقده عن هذه الابيات « ومن قولنا في البين » وقد اشرنا قبلًا الى ان الثعالبي جعل من ابن عبد ربه صاحبنا شخصين فذكر اشعارًا للاول (١ : ٣٦٠) وسماه احمد بن عبد ربه الاندلسي وذكر الثاني باسم احمد بن محمد بن عبد ربه وروى له اشعارًا في (١ : ٤١٢) والاشعار في كلا الموضعين مذكور اكثرها في العقد منسوبة لصاحبه ابن عبد ربه.

٢) ابن عبد ربه ٣: ١٧٦ ٣) ابن عبد ربه ٣: ١٧٦

٤) ابن عبد ربه ٣: ١٧٦ ٥) الثعالبي ١: ٣٦١

الرثاء

اما شعره في الرثاء فيكاد ينحصر باهله وذويه ، وبالاخص بمن فقد من بنيه . ومع ان هذه القصائد قليلة جدًا ، فان الواقف عليها لا يستطيع ان يكتم اعجابه في قوة معانيها ومبانيها . ولعلي لا ابالغ اذا قلت ان ارقّ شعر له واصدقه عاطفة واقواه شعورًا هو شعره في مرض ولديه ورثائهما . وترى ان ابن عبد ربه في احدى هذه القصائد ذا نفس حساسة متألمة ينظر الى ابنه المريض يتقلب على فراش الموت بين يديه ، وقد اعيا الطبيب مرضه ، فيبعث في ذلك الظلام دُعاء الى الله من قلب يتحرك بعاطفة عنيفة صادقة كلها حب ورحمة وحنان وامل :

« بنيَّ ، لئن اعيا الطبيب بن مسلم ضناك ، واعيا ذا البيان المشبّعِ ،
لابتهلَنْ ، تحت الظلام ، بدعوةٍ متى يدعُها داعٍ الى الله يسمعِ ،
تغلغل من بين الضلوع نشيجُها ، له شافع من عبرةٍ وتضرعِ
الى فارج الكرب المجيب لمن دعا فزعت بكربي ، انه خير مفزع !
فيا خير مدعوّ ، دعوتك ، فاستمع! وما لي شفيعٌ غير فضلك ، فاشفعِ ! (١

ويراه ميتاً امامه ثاوياً في قبره فتتقطع كبده وتذوب حشاه ويهلع فؤاده ويكاد يموت عليه كمدًا :

واكبدا ! قد تقطعت كبدي ! قد حرقتها لواعج الكمدِ !
ما مات حيٌّ لميت اسفًا اعذر من والدٍ على ولد .
يا رحمة الله ، جاوري جدثًا دفنت فيه حُشاشتي بيدي .
ايّ حشًا لم يذب له اسفا ؟ واي عين عليه لم تجدِ ؟
لا صبر لي بعده ، ولا جلد ، فجعت بالصبر فيه والجلد .
لو لم امت عند موته كمدًا ، لحق لي ان اموت من كمدي .
يا لوعةً لا يزال لاعجها يقدح نار الاسى على كبدي . (٢

وتمر الايام فتعاوده ذكراه المؤلمة ، فيتمنى لو يموت ويطوى موضعه ويدرج في اكفانه :

بليت عظامك ، والاسى يتجدّد ، والصبر ينفد ، والبكا لا ينفد !
يا غائبًا لا يرتجى لايابه ولقائه ، دون القيامة ، موعدُ ،

---

١) ابن عبد ربه ٣: ٢٦٨   ٢) ابن عبد ربه ٣: ١٣٢

ما كان احسن ملحداً ضمّنه ، لو كان ضمَّ اباك ذاك الملحدُ !
باليأس اسلو عنك ، لا بتجلّدي . هيهات ! ابن من الحزين تجلّدُ ! (١

وله فيه ايضاً :

يا سيدي ومزاج الروح في جسدي ، هلّا دنا الموت مني حين منك دنا !
حتى يمرَّ بنا في قعر مظلمة لحدٌ ، ويلبسنا في واحد كفنا !
يا اطيب الناس روحاً ضمّه بدنٌ ، استودع الله ذاك الروح والبدنا !
لو كنت اعطى به الدنيا معاوضةً منه ، لما كانت الدنيا له ثمنا .(٢

اما ولده الآخر فقد تناوله الموت وهو طفل ، ولم يكن جزعه عليه باقل من جزعه على اخيه الاكبر :

على مثلها من فجعة خانك الصبر ! فراق حبيب دون اوبته الحشرُ !
ولي كبد مشطورة في يد الاسى : فتحت الثرى شطر ، وفوق الثرى شطرُ .
يقولون لي : صبّرْ فؤادك بعده . فقلت لهم : ما لي فؤادٌ ، ولا صبرُ .
فُريخ من الحمر الحواصل ما اكتسى من الريش حتى ضمه الموت والقبرُ .
اذا قلت : اسلو عنه ، هاجت بلابل يجدّدها فكر يجدِّده ذكرُ .
وانظر حولي ، لا ارى غير قبره ، كأنّ جميع الارض عندي له قبرُ .
افرخَ جنان الخلد طرتَ بمهجتي ، وليس سوى قعر الضريح لها وكرُ .(٣

الوصف

وقد رأينا ان نفرد للوصف باباً خاصاً لما لابن عبد ربه من الشعر في الرياض والجنائن ، ذكر بعضه في عقده في باب اقوال العرب في الرياض . وهو في هذا الوصف – شأن شعراء الاندلس – متفوّق على الكثيرين من شعراء المشرق . ويظهر انه قد كان لهذه المناظر المبهجة المختلفة في بلاد الاندلس تأثيرٌ في نفوس هؤلاء الشعراء ، فردّدوا ذكر جمالها ، ووصفوا بهيج منظرها بلفظ انيق ومعنى رقيق . واليك مثلاً من شعره هذا :

وروضة عقدت ايدي الربيع بها نوراً بنور ، وترويجاً بترويج ،
بلقح من سوارها ، وملقحة ، وناتج من غوادها ، ومنتوج ؛
توشحت بملاة غير ملحمة من نورها ، ورداء غير منسوج ،
فالبست حلل الموشيّ زهرتها وجلّلتها بانماط الديابيج .(٤

١) ابن عبد ربه ٢ : ١٣
٢) ابن عبد ربه ٢ : ١٥
٣) ابن عبد ربه ٢ : ١٨
٤) ابن عبد ربه ٣ : ١٨٧

وله ايضاً :

وموشيّة يجدي اليك نسيمها … على مفرق الارواح مسكاً وعنبراء
سداوتها من ناصع اللون ايض ، … ولحمتها من فاقع اللون اصفراء
يلاحظ لحظاً من عيون ، كأنها … فصوصٌ من الياقوت كلمن جوهرا (١

وله ايضاً من شعر وصف فيه روضة ثم تخلص الى الممدوح :

وما روضة بالحزن حاك لها الندى … برودًا من الموشي حمر الشقائق ،
يقيم الدجى اعناقها ، ويميلها … شعاع الدجى المستن في كل شارق ،
اذا ضاحكتها الشمس تبكي باعين … مكللة الاجفان صفر الحمالق ،
حكت ارضها لون السماء ، وزانها … نجومٌ كامثال النجوم الخوافق ،
باطيب نشرًا من خلائقك التي … لها خضعت في الحسن زهر الخلائق . (٢

ولم تنحصر قدرته على الوصف الجميل في ما يختص بالرياض فحسب بل تعدّت الى غير الرياض . فضرب بسهم وافر منه في كل ابواب الشعر التي طرقها ، ولعل القارئ قد لمس شيئاً من هذا فيما اوردنا من الامثلة عن شعره في مختلف الفنون التي ذكرنا . وقال يصف فرساً :

ومقربة يشفر في النقع كنها ، … ويغضر حيناً كلما بلّه الرشحُ
تطير بلا ريشٍ الى كل صيحة … وتسبح في البرّ الذي ما به سبحُ . (٣

وقال في فتاة :

ازف الرحيل فودعتني بقبلة … اوحت اليّ جفونها بسلامِ ،
وتطلعت بين الحدوج ، كأنها … شمس تطلّعُ في خلال غمامِ ،
وشكت تباريح الصبابة والهوى … بمدامع نطقت بغير كلامِ ؛
كمهاة رملٍ قد تربعت الحمى … بين الظباء العفر والآرامِ ،
حتى اذا ضرب المصيف رواقه … صافت ظلّ اراكة وبشامِ . (٤

وقال في اخرى :

ذات دلّ ، وشاحها قلقٌ … من خمور ، وحجلها شرق ،
بزّت الشمس نورها ، وحباها … لحظ عينيه شادن خرق ،
ذهبٌ خدّها يذوب حياءً … وسوى ذاك كله ورق . (٥

١) ابن عبد ربه ٣ : ١٨٧
٢) بن عبد ربه ٣ : ١٨٧
٣) ابن عبد ربه ١ : ٦٠
٤) الثعالبي ١ : ٢٦١
٥) ابن عبد ربه ٣ : ٢١٢ وورق بمعنى فضة

ويظهر انه كان يرغب في التشابيه فقد اكثر منها في شعره . وقد وفق في ايرادها . ولعلّ القارئ قد لاحظ هذا فيما ذكرنا له من شعر صاحبنا . وانظر بهذه المناسبة الابيات الميميّة الخمسة التي سبقت هذا الكلام.

والخلاصة ان ابن عبد ربه قد تعرض في شعره الى فنون كثيرة وفق في بعضها ، ولم يوفق كثيرًا في البعض الآخر . فقد اجاد في باب الغزل والرثاء اكثر مما اجاد في المدح والهجاء . واتى في بعض الفنون بمعانٍ جديدة وتشابيه جميلة ، بينما كان في البعض الآخر متكلفاً في اكثر الاحيان . اما ديباجة شعره فانها بوجه عام جميلة . فقد كان سبكه جيدًا واضحاً ، بريئاً من التعقيد ، فيه رشاقة وطلاوة ، وكان لفظه سهلًا رقيقاً عذباً فيه رونق وحلاوة . لم يقيده بالبديع الا قليلًا ، وذلك حيث جاء البديع على السجية ؛ ولم يحمله اكثر مما يطيق من المعاني . وهو بهذا يمثل الفن الاندلسي الشعري بوجه عام.

الموشحات

بقي الموشحات . وقد نسب الى ابن عبد ربه انه نظم كثيرًا منها ، وانه كان من الاول الذين اخترعوا هذا الفنّ ببلاد الاندلس . ونريد قبل كل شيء ان ندوّن هنا اننا لم نعثر ، في كل المصادر التي بين ايدينا حتى في العقد نفسه وفي اليتيمة ، على موشح ما من هذه الموشحات التي زعم البعض ان ابن عبد ربه نظمها . واذن فبحثنا الآن في امر الموشحات هو من قبيل درس هذا الزعم وتثبيت هذه النظرية او ردّها ، لا من قبيل النظر في شعر ابن عبد ربه الموشح المزعوم ومعرفة خصائصه وميزاته.

اما اول من ذكر ان ابن عبد ربه نظم الموشحات فابن بسام . فقد ذكر في كتابه « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة » شيئاً عن عبادة بن ماء السماء اتى فيه على ذكر ابن عبد ربه وما نسب اليه من نظم الموشح . وقد كنّا ذكرنا قبلًا اننا لم نوفق في الاطلاع على نسخة خطية من الذخيرة التي لم تطبع بعد ، واننا رجعنا الى بعض الذين اخذوا عنها كالصلاح الكتبي في « فوات الوفيات » او الدكتور ا. ر. نيكل الذي ترجم هذا النصّ الذي يهمنا في مقدمته لترجمة

طوق الحمامة . غير اننا الآن قد عثرنا على النص الاصلي مرسوماً زنكوغرافياً في كتاب المستشرق ريبيرا Disertaciones y Opusculos, Madrid, 1928 قبالة صفحة ١٠٢ من الجزء الاول ، ومطبوعة بحرف مغربي في الصفحات من ٩٩ الى ١٠١ ، نقلًا عن نسخة مكتبة باريس الوطنية وهذا هو النص :

« قال ابو الحسن وكان هذا ابو بكر [عبادة بن ماء السماء] في ذلك العصر شيخ الصناعة وامام الجماعة سلك الى الشعر مسلكاً سهلًا فقالت له غرائبه مرحباً واهلًا وكانت صنعة التوشيح التي نهج اهل الاندلس طريقتها ووضعوا حقيقتها غير مرقومة البرود ولا منظومة العقود فاقام عبادة هذا منآدها ومرسلها ومنادها (١ . فكانها لم تسمع بالاندلس الا منه ولا اخذت الا عنه واشتهر بها اشتهاراً غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته وهي اوزان كثر استعمال اهل الاندلس لها في الغزل والنسيب تشق على سماعها مصونات الجيوب بل القلوب واول من صنع اوزان هذه الموشحات بافقنا واخترع طريقتها فيما بلغني محمد بن معافر القبري الضرير وكان يضعها على اشطار الاشعار غير ان اكثرها على الاعاريض المهملة غير المستعملة يأخذ اللفظ امي (٢ والعجمي فيسميه المركز ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا اغصان وقيل ان ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد اول من سبق الى هذا النوع من الموشحات ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي فكان اول من اكثر فيها من التضمين في المراكيز يضمن كل موقف يقف عليه في المركز خاصة فاستمر (٣ ذلك شعراء عصره كمكرم بن سعيد وابني ابي الحسن ثم نشا عبادة هذا فاحدث التضفير [التضفير] وذلك انه اعتمد مواضع الوقف في الاغصان فيضمها كما اعتمد الرمادي مواضع الوقف في المركز واوزان هذه الموشحات خارجة عن غرض كتابنا هذا اذ اكثرها على غير اعاريض اشعار العرب ».

ثم عقب ابن بسام الصلاح الكتبي ، فذكر في كتابه « فوات الوفيات » ترجمة لحياة الشاعر عبادة بن عبدالله (ابن ماء السماء) نقلها فيما يظهر عن ابن بسام[٤] ، وقال في آخرها شيئاً قد يكون منه والارجح انه مما نقل عن ابن بسام هو :

« واول من صنع اوزان الموشحات محمد بن محمود القبري الضرير وقيل ان ابن عبد

---

١) في نسخة تونس « وقوّم ميلها وسنادها » راجع كتاب ريبيرا المذكور في الموضع المذكور.

٢) لعلها العامي ، راجع كتاب ريبيرا المذكور في الموضع المذكور.

٣) لعلها « استمر على » او « استمرأ » .

٤) الكتبي ١ : ٢٥٥ قال ابن بسام . . .

ربه صاحب العقد اول من سبق الى هذا النوع من الموشحات ثم نشأ يوسف بن هرون الرمادي ثم نشأ عبادة.» (١

وعقب الصلاح الكتبي ابن خلدون، فذكر في مقدمة تاريخه في باب الموشحات والازجال للاندلس خبر استحداث اهل الاندلس لفنّ الموشح قال:

« واما اهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنًا سمّوه بالموشح ينظمونه اسماطًا اسماطًا واغصانًا اغصانًا يكثرون منها ومن اعاريضها المختلفة ويسمّون المتعدد منها بيتًا واحدًا ويلتزمون عند قوافي تلك الاغصان واوزانها متتاليًا فيما بعد الى آخر القطعة وأكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة ابيات ويشتمل كل بيت اغصان عددها بحسب الاغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد. وتجاروا في ذلك الى الغاية واستطرفه الناس جملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه. وكان المخترع لها بجزيرة الاندلس مقدم بن معافر الفريري من شعراء الامير عبدالله بن محمد المرواني. واخذ ذلك عنه ابو عبد الله احمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد ولم يظهر لها مع المتأخرين ذكر وكسدت موشحاتها.»(٢

ويظهر في هذه الروايات كلها شيء من التشويش. فالمخترع للموشحات برواية ابن بسام هو محمد بن محمود العمري الضرير، وفي رواية الكتبي هو محمد بن محمود المقبري الفرير، بينما هو في رواية ابن خلدون مقدم بن معافر الفريري. كذلك هناك اختلاف في اسم ابن عبد ربه فهو عند ابن خلدون ابو عبدالله احمد بن عبد ربه، وقد سبق لنا ان اظهرنا الخطأ في هذه الكنية. ولا يسعنا بعد هذا التشويش ان نقبل هذه الاخبار كما هي، او ان نكتم استغرابنا لنقل نفر من ادبائنا بعض هذه الاسماء عن ابن خلدون او غيره دون ان يضبطوها او يتحققوا من امرها[٣].

اما المستشرقون فقد درسوا هذه الناحية درسًا دقيقًا، واعاروا هذا التشويش والاضطراب التفاتهم. فمنهم هارتمن وقد ذكرنا رأيه في كلمة «ابو عبد الله» (هذه الكنية التي دونها ابن خلدون لابن عبد ربه) الذي نشره في

١) الكتبي ١: ٢٥٥ قال ابن بسام...
٢) ابن خلدون: ٥٤٠، وطبعة مصر سنة ١٢٧٤ صفحة ٣٠٥
٣) اطلب كتاب « نظرات في تاريخ الادب الاندلسي » (محاضرات للاستاذ كيلاني في الجامعة المصرية) صفحة ٢٢٣

كتابه « الموشح » «*Das Muwaššaḥ*» والذي يظهر منه ان هارتمن يرى ان صاحب العقد لم تكن له علاقة بالموشح[1] .

ومنهم بروكلمن فقد اتى في الموسوعة الاسلامية على ترجمة مختصرة لابن عبد ربه صاحب العقد ذكر فيها ان بين اشعار ابن عبد ربه التي اطلع عليها الحميدي كان هناك موشحات له *Among his poems, of which al-Ḥumaidi was acquainted with more them 20 volumes, there were Muwashshahat.*[2]

ولا ندري ايعني بروكلمن ان الحميدي ذكر هذا ام انه يظن انه في ديوانه الذي اطلع على بعضه الحميدي يجب ان تكون قد وردت هذه الموشحات ؟ والغريب انه ليس بين كل المصادر التي دونها بروكلمن في مقالته بالموسوعة المذكورة عن حياة ابن عبد ربه ما يشير الى ان ابن عبد ربه نظم الموشحات من الشعر : فمن اين اتى بروكلمن بهذا الخبر ؟ والغريب ايضاً ان بروكلمن قد رجع الى كتاب هرتمن في الشعر الموشح وذكره في جملة مصادره ولكنه لم يعرض لرأيه في ان ابن عبد ربه احمد بن محمد المكنى بابي عمر صاحب العقد لم ينظم الموشح ، ولم نعلم ما اذا كان بروكلمن يقبل رأي هرتمن هذا ام يرده .

ومنهم ريبيرا فقد ذكر في كتابه « الموسيقى في الجزيرة العربية وفي اسبانيا » وترجع الى الترجمة الانكليزية — « ان رجلاً من بيت ابن عبد ربه يصعب تعيينه قد تبع مقدماً بنظم الموشحات .» ثم يقول :« والذين يقرأون ابن بسام يظنون ان هذا الرجل هو صاحب كتاب العقد ، انما ليس لدينا ما يثبت هذا . » ثم يقول :« واظن ان ابن عبد ربه صاحب الموشحات كان ابن اخ صاحب العقد واسمه ابو عمر سعيد بن عبد ربه . وكان طبيباً وشاعراً ومات سنة ٣٤٢ هـ وكانت ميوله مخالفة لميول عمه الذي كان عربيّ النزعة من اتباع القديم .» ويورد ريبيرا قصة عنه يأخذها عن كتاب التكملة لابن ابار فيها ان

---

1) Hartmann, p. 23

2) Brockelmann. *Ibn ʿAbd Rabbihi* [Encyc. of Islam, vol II, p. 353]

سعيداً هذا كان لا يأنف من استعمال لهجة غير مألوفة في كلامه حتى مع الخلفاء، مما يدل على انه كان يميل الى الخروج عن سبل القديم وينزع الى غيرها. ويقول ريبيرا: «ان ابن ابي اصيبعة قد ذكر ان هذا الشاعر عمي آخر حياته» ويظن المستشرق انه «في ذاك الزمن ربما نظم الموشحات هذه التي فيها خروج عن طرق العرب المألوفة في النظم.»[1] ولكن فات ريبيرا ان ابن ابي اصيبعة ترجم لرجل باسم سعيد بن عبد ربه ولكن بكنية ابي عثمان[2] لا «ابي عمر». كما وان كنية الرجل هذا في التكملة هي ابو عثمان[3] ايضاً لا «ابو عمر». فترى هل كانت الكنية التي وضعها ريبيرا لسعيد هي الكنية الصحيحة وان عثمان محرفة عن عمر؟ ولكن ما المصدر الذي استند اليه في ذاك؟ ولماذا لم يشر الى امر اختلاف الكنية او امر التحريف الذي زعمنا امكانية وقوعه؟ والظاهر ان الشخص الذي يشير اليه ريبيرا هو الشخص نفسه الذي ترجم حياته ابن ابي اصيبعة فذكر انه كان طبيباً وشاعراً، وانه كان ابن اخ ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد، واورد عنه نادرة وقعت له مع عمه هذا وهو نفسه صاحب الترجمة في كتاب التكملة لابن ابار.

ومنهم ايضاً المستشرق الدكتور نيكل فقد تعرض لهذا الموضوع في مقدمة ترجمته لكتاب «طوق الحمامة» لابن حزم، واتى على اكثر آراء هؤلاء، مبدياً ملاحظات قيمة هنا وهنالك[4]. غير اننا لا نرى فيما كتبه ما يهمنا من هذه الناحية التي نتعرض لفهمها.

نستخلص من هذا كله انه يصعب جداً ان نقطع ان صاحب العقد احمد ابن عبد ربه المكنى بابي عمر قد نظم شيئاً من الشعر الموشح بحيث عرف فيه، لاسيما اذا ذكرنا ان ابن عبد ربه صاحبنا قد افرد كتاباً خاصاً في عقده للشعر، تصدى فيه لدرس بحوره ومجزوءاتها، ووضع لكل منها امثلة من نظمه كما وانه نظم ارجوزة خاصة تعرض فيها لاعاريض الشعر وعلل قوافيه، وبحث بها

---

1) Ribera, p. 126

2) ابن ابي اصيبعة ٢: ٤٤

3) ابن ابار ٢: ٧١٠ رقم ١٩٩٥: سعيد بن... ابن اخي الاديب ابي عمر... كنيته ابو عثمان وكان اديباً شاعراً الخ

4) Nykl, p. LXXXV seq.

في الاسباب والاوتاد والزحاف وكل مـا عرفتـه العرب مما يطرأ على الشعر، ووضع دوائر عليها خطوط تشير الى الحروف الساكنة والمتحركة في كل تفاعيل البحور ، ونظم مقطعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض. ولكنه في كل هذه الابواب لم يذكر موشحاً ما ، ولم يشر الى فنّ الموشح ، ولم يلمح الى انّ له بدءًا او اثرًا فيه ، او انه نظم عليه . مع ان اكثر الشعر الـذي اورده مثالاً على البحور المختلفة ومجزوءاتها كان من نظمه.

ولعلّ ريبيرا لم يكن بعيدًا عن الصواب حين لاحظ ان ميول ابن عبد ربه صاحب العقد ، كانت تنزع الى المحافظة على القديم والتمسُّك به . فقد ذهب ابن عبد ربه في مبدأه من المحافظة على ما الفته العرب الى نقد خروج الخليل ابن احمد عن بعض الامور المعينة في عروض الشعر قال في ارجوزته :

هذا الذي جرّبه المجرّبُ من كل ما قالت عليه العربُ
فكل شيء لم تقل عليه ، فاننا لم نلتفت اليـه .
ولا نقول مثل ما قد قالوا لانـه من قولنـا محالُ ،
فانه لو جاز في الابيات ، خلافها ، لجاز في اللغات .
وقـد اجاز ذلك الخليلُ ولا اقول فيه ما يقولُ .(١

ولعـل القارئ لاحظ ما اورده ابن بسّام من حيث ان العمري ، واضع الموشح ، كان في اغلب الاحيـان يجنح الى الالفاظ الغريبة (الاعجمية) والى الاوزان التي لم تعرها العرب ولم تألفها. فيستبعد والحالة هذه ان يتبعه ويشايعه في هـذا الامر ابن عبد ربه صاحبنا ، وقد عرف عنه حُبّه للقديم وتقليده للشرقيـين العرب ، وميله لنقد من يخرج على بعض النظم المألوفة ، وكرهه للنصارى وقربـه من الامراء الحاكمين ، ومعيشته في قرطبة التي كانت اكثر البلدان الاندلسية اتصالاً بالحياة العربية واللغة العربية.

ولنـلاحظ ايضاً كلمة ابن خلدون في ان الاندلسيين قد استحدثوا هـذا الفنّ لما كثر الشعر في قطرهم ، وتهذبت مناحيه وفنونه ، وبلغ التنميق فيه الغـاية ، وان المتأخرين منهم هم الذين استحدثوه. ولا نظن ان ابن عبد ربه صاحبنا يحسب من المتأخرين. زد على ذلك انه كان من الطبيعي — اذا كان

١) ابن عبد ربه ٣: ١٦٨

ابن عبـد ربه قد نظم الموشح — ان يقع ذاك في شبابه . وعندئذ يستبعد جدًا ان ينشأ الموشح وتتذاك ثم لا يؤتي ثمره الا في اول القرن الخامس للهجرة. ولنذكر ايضاً ان لابن عبد ربه صاحبنا اقارب تأخروا عن زمنه عرف بعضهم في الشعر والخروج على القديم كابن اخيه الذي ذكرنا ، وعرف بعضهم في انه يكنى بالكنية التي ذكرها ابن خلدون « ابو عبد الله» وقال عنه المقَّري «انه كان شاعرًا وكاتباً وانه من حفداء صاحب كتاب العقد ».

كل هذا يدفعنا الى ان لا نقطع في الامر. ولعل من الخير ان نشير الى انه من الممكن ان يكون بعض القدماء نسبوا هذه الموشحات الى واحد من آل ابن عبـد ربه ، ثم لشهرة الاسم اضاف اليه تابعوهم « صاحب العقد » ، او ان يكون في الاصل ذكر لقرابة صاحب الموشحات بابن عبد ربه « صاحب العقد» فسقطت لامر ما الكلمة التي تشير الى هذه القرابة كأن تكون مثلًا « حفيد» ابن عبد ربه صاحب العقد ، فاهملت كلمة « حفيد » فبقي ابن عبد ربـه صاحب العقد ، واختلط الامر على المتأخرين. ومن يدري ايضاً لعل ابن عبـد ربه صاحبنا هو صاحب هذا الاثر في الموشحات ، ولكن القرائن التي تدلّ على ذاك والآثار التي تشير اليه ، والبراهين التي تثبته قد ضاعت كلها او اكثرها فالتبس الامر علينا.

ومن الخير ان نشير في آخر هذا الفصل عن شعر ابن عبد ربه الى ان صاحبنا ظلَّ ينظم الشعر الى ايامه الاخيرة بعد اصابته بالفالج. ويروي لنا الضبي ان آخر شعر قاله ابن عبد ربه كان قبل موته باحد عشر يوماً ، وفيه بيان مبلغ عمره وذكر علته :

بليت ، وابلتني الليالي بكرها ، وصرفـان للايام معتـوران .
وما لي لا ابلى(١ لـسبعين حجة وعشر اتت من بعدها سنتان !
فـلا تـسألاني عن تباريح علتي ، ودونكما مني الـذي تريان .
واني بحمد الله راجٍ لفضـله ، ولي من ضمان الله خير ضمان ،
ولـست ابالي عن تباريح علتي ، اذا كان عقلي باقياً ، ولساني. (٢

---

١) في ياقوت ٢ : ٦٩ ابكي. ولعل الصواب « ابلى ». وقد وردت هكذا في الضبي.
٢) الضبي : ١٢٩

(انتهى)

الحجر الكريم

في

اصول الطب القديم

ارجوزة طبية مشروحة للشيخ ناصيف اليازجي

نشرها للمرة الاولى عن مخطوطة بخط المؤلف

فؤاد افرام البستاني ، استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٢

٣٥ والحرُّ والبردُ الى الرابعِ من دَرَجةٍ والغير بالثاني رُهِن
٣٦ والبعض لا يفعلُ بالمزاج بل بما عليهِ من خواصهِ اشتمل

اي ان الحرارة والبرودة تكونان الى الدرجة الرابعة من درجاتهما . وهي غاية ما تنتهيان اليهِ . واما الرطوبة واليبوسة فانهما تكونان الى الدرجة الثانية فقط . فيتطرّق الحار والبارد من الدرجة الاولى الى الرابعة . ويقف الرطب واليابس عند الدرجة الثانية . ويُقال للحرارة والبرودة الكيفيّتان الفاعلتان . وللرطوبة واليبوسة الكيفيّتان المنفعلتان . والادوية تفعل غالباً بحسب هذه الكيفيّات كتبريد المحرور وتجفيف المرطوب . وبعضها يفعل بخاصيَّةٍ فيه دون اعتبار كيفيَّتهِ كالاسهال وقطع نوبة الحُمّى وما اشبه ذلك

٣٧ وكلُّ اسهالٍ لذاتهِ جرى فذاك عن حرارةٍ قد صدرا
٣٨ وكلُّ ما اسهلَ حارٌّ الا ما شذَّ عن قياسهِ وقلَّا

اي ان كل اسهالٍ حدث لذاتهِ من غير اخذ مسهلٍ فهو قد حدث عن حرارةٍ . لان الاسهال من قبيل السيلان والسيلان لا يكون الا [٨ و] عن الحرارة . وبهذا الاعتبار كان كلُّ مسهلٍ حارًّا الا ما شذَّ عن القياس وهو قليلٌ كملح الطرطير فانه مع برودتهِ مسهلٌ

٣٩ وهكذا كلُّ دوآءٍ حابسٍ فانـهُ من باردٍ ويابسِ
٤٠ وكلُّ ما يُنضِجُ او[1] يرقّقُ حارٌ وما فتّح والمعرّقُ
٤١ وكلُّ ما غرّى فذاكَ اللَزِجُ كذاكَ ما التسديد منهُ ينتجُ

اى ان كلَّ ما يحبس الاسهال او غيره من الادوية يكون باردًا يابسًا . وكلُّ ما ينضج الاخلاط او غيرها او يرقّق الموادَّ الغليظة فهو حارٌ . وكذلك ما يفتح السدد او يعرّق . وكل ما يغرّى او يسدّد لا بدَّ ان يكون لزجًا اى غليظ القوام فيهِ لعابيّةٌ كمآء الصمغ العربيّ ونحوه

٤٢ والفصد للتنقيص فى الكميَّه يُبغَى أوِ الإصلاح فى الكيفيَّه
٤٣ أوْ لَهما عند اقتضآء الحالـه وتارةً للجـذبِ والإمالـه

اى ان الفصد يُقصَد به تنقيص كميّة الدم او اصلاح كيفيّتهِ وقد يُقصَدان به جميعاً . وذلك عنـد امتلآء العروق منه وغليانهِ فيها . ويكون احيانـاً لجذب المادّة وامالتها عن احد الجانبـين الى الجانب الآخر . فيُفصَد من العضو الاسفل للجذب مما فوقهُ كما تُفصَد من رجلها من احتبس دمها . او من الجانب المخالف لامالة المادّة عن مركزها نحوهُ كما يُفصَد من يدهِ اليُسرى من رمدت عينهُ اليمنى . [٨ ق] وبعضهم فى مثل هذا يختار الفصد من الجانب الموافق لانهُ الاقرب غير ناظرٍ الى امر التحويل المذكور . والاول هو المختار عند الجمهور وعليه اكثر الاستعمال

٤٤ وفصدُ قيفـالٍ لراسٍ عيَّنِ والباسليق أفصد لما فى البدنِ
٤٥ وأَيْهما الاكحل مطلقاً تُركْ لذاك مـا يدعونه بالمشتركْ
٤٦ والفصد للصدرِ من الأُسيلم ودونـهُ من صافنٍ فى القدمِ

اى انه يُفصَد من العرق الذى يسمّونهُ القيفال لامراض الراس وما يشتمل عليهِ . ومن الباسليق لامراض البدن وهو ما دون الرقبة . ويُقال للاول عرق

[1] او : وفي «الطيب» : اذ

الراس . وللثاني عرق البدن . ويُفصَد من الاكحل لامراض الفريقين جميعاً . ولذلك يُقال لهُ المشترك . ويُفصَد لامراض الصدر من الأسيلم وهو ما بين الخنصر والبنصر من رسغ اليد . ولما دون الصدر من الصافن وهو الذي بين الكعب والعظم الناشز المعروف بالزورقيّ من جانب القدم الانسيّ . وهي العروق المعتاد فصدها في الغالب

٤٧ وافصد لدى الحاجة غيرَ سامعِ لمن نهاك عنهُ بعد الرابعِ

٤٨ وهو مقدَّمٌ على الاسهالِ وبعدهُ الاسهال حتماً تالِ(١)

اي ان الفصد يُؤمَر بهِ عند الحاجة اليه في جميع الاوقات غير معتبرٍ قول من نهى عنهُ بعد اليوم الرابع من ابتداء المرض . وقد [٩و] نصَّ على ذلك الشيخ الرئيس في القانون بقولهِ لا يُلتفَت الى قول من يقول انهُ لا يجوز بعد الرابع فسبيلُ اليه ان وجب ولو بعد الاربعين . والفصد يقدَّم على الاسهال اذا دعت الحاجة الى كليهما . ومتى فُصد يجب الاسهال بعد ذلك وان لم تكن الحاجة داعيةً اليه . وذلك لاجل موازنة الاخلاط ومساواتها

٤٩ وربَّما تقوّت الطبيعه اذ خفَّفا اثقالها المدفوعه

٥٠ و"الفصد والاسهال في يومٍ معا"(٢) واخذ مسهلين فيه امتنعا

اي ان الفصد والاسهال ربَّما يقوّيان الطبيعة لتخفيفهما الاثقال التي يدفعانها عنها . وعليه قول الشيخ الرئيس في قانونه وقد يكون الاستفراغ مقوّياً للطبيعة بتخفيفهِ عنها . ولا يجوز الفصدُ والاسهالُ معاً في يومٍ واحدٍ . ولا أخذُ مُسهِلَين في اليوم الواحد لان الطبيعة لا تحتمل كل ذلك . فان ارتُكِب اخذهما يُتدارَك الضرر الحادث منهما بالفصد ولو اجتمع مع الاسهال في اليوم الواحد . وقد نصَّ على ذلك الشيخ الرئيس في ارجوزتهِ بقولهِ

واخذ مسهلين في يومٍ خطر والفصد حتمٌ ثَمَّ في وقت الضرر

---

١) تال : وفي «الطبيب» : تالي

٢) معا : وفي «الطبيب» : معه

٥١ وان اصاب عرضٌ في المرضِ يُخاف منهُ فاشتغل بالعَرَض
٥٢ واعتبر المزاجَ والقوّةَ من ذى الداءِ مع فصلٍ وعادةٍ وسن

اى اذا حدث مع المرض عرضٌ عظيمٌ يُخاف منه على المريض يجب ان [٩ ق] يُشتغل بعلاج ذلك العرض حتى يزول ثم يُرجع الى علاج المرض. كما اذا عرض مع الحمّى اسهالٌ مفرطٌ يُخشى منهُ هلاك المريض فيجب ان يشتغل الطبيب بعلاج الاسهال وان كان لا يوافق الحمّى ثم يعود الى علاجها . ويجب عليه ان يراعى مزاج المريض وقوّتهُ وعادتهُ وسنّهُ والفصل الحاضر من فصول السنة فينظر في كل واحدٍ من هذه المذكورات ويعمل بما يليق به من التدبير

٥٣ وحيثُ مالت الطبيعة استمِلْ الّا لدى الخوف فللعكس انتقلْ
٥٤ وأقلِلِ الغذآء مهما امكنا واجعلهُ من اضداد ما الداءَ جنى[١]

اى ان الطبيب ينبغى ان يميل الى حيث مالت الطبيعة ولا يعارضها الا اذا خيفَ من سوء العاقبة . كما اذا عرض ميل الطبيعة الى اللين فينبغى ان يسعفها بما يلينها ايضاً الا اذا خيف من افراط الاسهال فيجب ان يعارضها باعطاء القوابض الحابسة له . ويجب ان يقلّل غذآء المريض مهما امكن . وان يجعل ذلك الغذآء من اضداد الخلط الفاعل للمرض . كما اذا كان المرض صفراوياً فيجب ان يُغذّى بما يضادّ الصفرآء كالحوامض ونحوها . وعلى كلا الحالين يجب ان لا يستكثر من الغذآء لان الكثير منه كيفما كان ترتبك به المعدة فلا تقدر على هضمه فيتولد منهُ كيلوسٌ ردئٌ يزيد به المرض . والقليل تحسن التصرّف في هضمه فاذا خلت منه تفرّغت لاصلاح [١٠ و] ما فيها من الفضلات واجادت هضمها فتخفّ مؤونتها على الطبيعة

٥٥ وان يكُ العلاجُ بالغذآءِ يكفى فلا تعدل الى الدوآء[٢]
٥٦ وان غنيتَ بالدوآء المفردِ فاعدل عن المركّبات وابعد

---

١) الدآء : وفي «الطيب» : الداء ، وهو خطأ.

٢) الدوآء : وفي «الطيب» : الدماء ، وهو تصحيف ظاهر.

. اى اذا كان العلاج بالغذآء يكفى فلا يُعدَل عنه الى العلاج بالدوآء . كما اذا كان يكفى المحرور ان يتغذى بالحس فلا يُعدَل عنهُ الى سقى دوح الزاج. وكذلك اذا كان يُستغنَى بالدوآء المفرد كالصبر لتقوية المعدة فلا يُعدَل عنهُ الى الجوارش والمعاجين

٥٧ واحرص على القوّة كالذخائر فانها كالزاد للمسافر
٥٨ ولا تجرّب فالتجاريب[1] خطر الّا بما يُؤمَن شبهة الضرر
٥٩ ولا تُعالج دون ادراك السَبَب لكن على دليلهِ جِدَّ الطَلَب

اى انه يجب الحرص على قوّة المريض كما يجب الحرص على الذخيرة . لانها كالزاد للمسافر الذى اذا نفد منه مات جوعاً . ولا يجوز ان تُعطى الادوية على سبيل التجربة الا بما كان لا يضرّ عن ثقة اذا لم ينفع . لان التجربة خطرٌ لا يجوز التهافت فيهِ . ويجب ان لا يعالج الطبيب من غير ان يعرف سبب المرض ليعرف بماذا يداويهِ عن بصيرة . فيتوقف عن العلاج ويجتهد فى طلب الدليل على السبب حتى يدركهُ ثم يأخذ فى العلاج بحسبهِ . وبهذا الاعتبار قالوا ان كلَّ مرضٍ معروف السبب موجود الشفآء

[١٠ق]٦٠ والدآء يبدا فيزيد فيَقِف وبعدهُ ينحطّ ثم ينصرف
٦١ والموت من قبل انحطاطهِ فقط وبعدهُ لا موت الا عن غلط
٦٢ فاحرص اذا انحطَّ كما كنتَ ولا تطمع بهِ كيلا[2] تُسِيء العملا

اى ان للمرض اربع مراتب . وهى الابتدآء والتزايد والوقوف على حالهِ ويُقال له الانتهآء . ثم الانحطاط وهو استظهار الطبيعة على المرض واتجاه المريض الى الصحّة . والموت يقع فى كل واحدٍ من الثلثة الاولى. واما الانحطاط فلا يقع الموت بعدهُ الا من غلط الطبيب او المريض فى سوء التدبير . ولذلك

---

١) فالتجاريب : وفي «الطيب» : فالتجارب
٢) كيلا : وفي «الطيب» : كي لا

يجب الحرص بعد الوصول اليه كما كان قبلهُ غير مطوع فيه حذرًا من سوء العاقبة . واعلم ان الامراض تنقسم الى مشتركة وهي التي تعمّ جميع البدن كالحمّى . وخاصة وهي التي تصيب عضوًا دون غيرهِ كالرمد. ويُقال للاعضاء التي تصيبها الاولى الاعضاء المتشابهة الاجزاء . وللتي تصيبها الثانية الاعضاء الآليّة . وتنقسم ايضًا الى مفردةٍ وهي ما كانت مرضًا واحدًا كالرَبو. ومركّبة وهي ما كانت مؤلّفة من مرضين كالسل فانه مركّبٌ من ذات الرئة وحُمّى الدِقّ . والى مزمنة وهي تطول مدّتها كالفالج . وحادّة وهي بخلافها كالحمّى الصفراويّة . ومن الامراض ما يُقال لها الامراض الوافدة وهي التي تعمّ خلقًا كثيرًا كالامراض الوبائيّة . [١١ و] وفيها تفاصيل اخرى لا موضع لها في هذه الرسالة . واما العلاج فمدارهُ على استفراغ الحاصل وقطع الواصل. كتنقية المعدة من الفضول الفاسدة وتقويتها حتى لا تولّد فضولًا اخرى مثلها . ومنهُ ما يكون من الداخل كالمعاجين والاشربة . وما يكون من الخارج كالضمادات والكمادات وهي ما يلاقي سطح الجلد باردًا كالتضميد بدقيق الشعير والخلّ . او سخنًا كالتكميد بمطبوخ بزر الكتان ونحوهِ

٦٣ وشجّع المريضَ فالشجاعه   تنعشهُ واستعمل الوداعه

٦٤ وافرض عليهِ حميةً في الاغذيه   وغيرها فتلك راس الادويه

اي ان الطبيب يجب ان يشجع المريض لان الشجاعة تنعش طبيعتهُ فتنهض لدفع المرض . لانها هي المعدة في ذلك والطبيب انما يسعفها بالدواء لتقدر على النهوض لمقاومة المرض ودفعهِ عنها . فاذا ضعفت وانحلّت قوّتها لا يقدر الدواء ان يصنع شيئًا . وبناءً على ذلك يجب ان يحترز من ان تظهر عليه لوائح الخوف او الكمد لئلّا يشعر المريض بذلك فيقتلهُ الخوف او يعجل موتهُ . لان كثيرين من الناس يموتون من الخوف وهم في حال الصحّة المتينة . فان اقتضى الحال انذارهُ لاجل وصيّةٍ او غيرها فليكن بلسان من لا يعتقد صحّة انذارهِ بمجمل [١١ ق] ذلك منه على سبيل الاحتياط احتسابًا مما يمكن ان يجدّ في

المستقبل لا خوفاً من الواقع فى الحال . وكذلك يجب على الطبيب ان يستعمل الوداعة مع المريض ليستأنس بهِ ولا يتهيَّب ان يستوفى شرح حالهِ لهُ او بثَّ ما فى نفسهِ من الامور التى يريد ان يستشيرهُ عنها . ويجب ان يلزمهُ الحمية فى الاغذية وغيرها ويحذّرهُ من التخليط . فقد قيل ان المعدة بيت الدآء والحمية راس كل دوآء . غير انه اذا غلبت عليهِ الشهوة جاز ان يرخص لهُ فى تناول شىء يسير مما اشتهاهُ . فقد قالوا ان القليل من الضار خيرٌ من الكثير من النافع . لكن يكون ذلك نادرًا بعد تناول غيرهِ من الاغذية الصالحة لا على الخلاء

٦٥ واذ تراهُ قد تعافى لا تَزِد   من العلاج بعد نيل ما قُصِد
٦٦ واحرص على الناقهِ من نكسٍ ولا   تطعمهُ ما وافق خلطاً فعلا

اى متى راى الطبيب المريض قد تعافى يجب ان يقتصر عن العلاج . لان المقصود انما هو الصحّة وقد نالها فلا يجوز ان يسعى فى زيادتها انئلّا يقع فى نقصانها . قال الشيخ داود البصير بالغ فى الدوآء ما احسست بمرض ودَعْهُ ما وثقت بالصحّة . لان استعمال الدوآء عند الاستغنآء عنهُ [١٢ و] كتركهِ عند الحاجة اليهِ . وكذلك يجب ان يحرص من النكس على الناقهِ وهو المريض الذى تعافى وفيهِ بقيّة ضعفٍ . فان الرجوع الى المرض ثانياً اشرُّ من الدخول فيهِ اولًا . لان المرض الذى دخل على الطبيعة فى حال قوّتها فاضعفها اذا عاد اليها فى حال ضعفها اتلفها . وبنآء على ذلك يجب ان يامر بالمحافظة عليهِ فى طعامهِ وشرابهِ ومنامهِ . وان لا يُطعَم شيئاً مما يوافق الخلط الفاعل لمرضهِ لئلا ينمو فيعود الى ما كان عليهِ

٦٧ والشيخ ان اسهلتهُ لا تُسهِلِ   صفرآءهُ لكن لها(١) الكسرَ اجعلِ
٦٨ واحرص على دمآئهِ المفيده   لهُ بدون حاجةٍ شديده

اى اذا احتيج الى اسهال الشيخ لا يُعطَى ما يُسهِل الصفرآء لان مزاجهُ

١) لها : وفي «الطبيب» : بها .

قد مال الى البرد فيزيده استفراغ الصفرآء برودة . وبذلك تخمد الحرارة التى هى قوام حياته . ولكن اذا احتيج الى علاجها يُستعمل لها ما يكسر عاديتها كالتمر الهندى ونحوه . وكذلك يجب الحرص على دمه فلا يُفصد الّا عند الحاجة الشديدة لان الدم هو ركن الحيوة الاعظم وقد صار تولُّده فيه قليلاً. غير انهم قد يرخّصون فى فصده عن غير ضرورة اذا كان قد اعتاد على[1] الفصد . وقد نصّ على كل ذلك الشيخ الرئيس فى ارجوزته بقوله فى تدبير الشيوخ .....

[١٢ق] واستَبقِ ان اسهلتهُ الصفرآء دَعها تَسكُنْ فى جسمه دوآء

وان يكن تعوَّد الفصاده فلا تكن قاطعَ تلك العاده

وذلك لان حبس ما قد اعتيد استفراغه يجعل ذلك المحتبس خبيثاً . وعليه قولهم عوّدوا كلّ جسدٍ ما اعتاده . غير انه يجب الرفق فى فصده والتلطُّف بتقليل الاستفراغ وتضييق البضع . وان لا يكون اكثر من مرّةٍ فى السنة. فتدبّر

١) اعتاد على : كذا في الاصل ، والمعروف ان «اعتاد» يتعدّى بنفسه .

(لها صلة)

الذكرى الذهبية

لاول قداس

في كنيسة بيروت السريانية

١٨٨٣-١٩٣٣

لحضرة المورفسفنوس ميخائيل اليان سركيس السرياني

١

توطئة

كلما مرّت بمخيلتي ذكرى الاحتفال بالقداس الاول في كنيستنا السريانية ببيروت شعرتُ في قلبي بعاطفةٍ شهيّةٍ لذيذةٍ تجتذب روحي الى السماء العلويّة فاشاهد بعين الايمان اجواق الملائكة محتفين بعرش الحمل الالهي وأسمع تسابيح الكواريب وتقاديس السواريف الثلاثية للثالوث القدّوس المسجود له . فتغتبط نفسي بهذه الذكرى الذهبية الجميلة ويترنم لساني الحقير باناشيد الحمد والشكر للمراحم الازلية التي منّت عليّ بالبلوغ الى هذا اليوم السعيد المجيد ، ووفّقتني لاثبت كلمة وجيزة عن هذه الكنيسة العزيزة على قلبي جداً انقلها عمّا ادرجته منذ خمسين سنة في صكوكها وعمّا علق بحافظتي الضئيلة من ماجرياتها معتقداً انه فاتني شيء وشيء كثير ممّا لم انتبه اليه او ممّا لم اقف عليه ، راجياً العفو عمّا اقصّر فيه في هذا الصدد سهواً او جهلاً مني فاقول :

١ً الاحتفال بوضع الحجر الاول في كنيسة مار جرجس السريانية

عزم السيد اغناطيوس جرجس شلحت ، البطريرك الانطاكي (١٨٧٤-١٨٩١) على وضع الحجر الاوّل في كنيسة مار جرجس صباح عيد البشارة ٢٥ آذار ١٨٧٨ بحضور جمهور غفير من اكليروس الملل الكاثوليكية واعيان الطائفة السريانية وأرباب المناصب المدنية . فاستكتب رقعة رقّ في السريانية والعربية

وضعها بيمينه المباركة في اساس الكنيسة الشرقي وفقاً للتقاليد الابوية هذا مضمونها: «تمجيداً للثالوث الاقدس وتعظيماً لشهيده البطل مار جورجيوس وُضع اول حجر لكنيسة مار جرجس الشهيد للسريان الكاثوليك في بيروت بيد اغناطيوس جرجس شلحت بطريرك السريان الانطاكي. في عهد البابا بيوس التاسع، رئيس احبار بيعة الله المقدسة الكاثوليكية، وفي خلافة السلطان ابن السلطان السلطان عبد العزيز خان، في ٢٥ آذار سنة ١٨٧٨ مسيحية». وأمضى غبطته تلك الرقعة بامضائه، ووقّعها القاصد الرسولي السيد لودفيكس بياني، والاساقفة الحاضرون، والسادات نصر الله طرّازي ورزق الله شتّال وميخائيل موصلي وغيرهم.

ثم اوفد السيد البطريك الخوري يوحنا معاورباشي نائبه في بيروت الى قسطنطينية ليسعى في الحصول على الفرمان الشاهاني. فبذل الاب المومأ اليه الجهود في ذلك سنتين حتى اذا كانت السنة ١٨٨٠ ارسل يبشر صاحب الغبطة واعيان الملّة بصدور الفرمان. فتهلّلت قلوبهم جذلاً، واستأنف العملة عملهم حتى السنة ١٨٨٣ فاكتمل بناء الكنيسة على احسن طراز، وزُيّنت بثلاثة مذابح من الرخام اوسطها مذبح مار جرجس، والى يمينه مذبح سيّدتنا مريم العذراء، والى يساره مذبح ابينا مار افرام السرياني الملفان. وفُتحت فيها خمسة ابواب ثلاثة في غربيها وبابان في شماليها وجنوبيّها. ونُقش على بابها الغربي الوسطاني هذا التاريخ: «كنيسة مار جرجس للسريان الكاثوليك أُنشئت في عهد السعيد الذكر البطريرك اغناطيوس جرجس شلحت ١٨٧٨». وهي تشتمل على ٣٥ ذراعاً طولاً، و ١٨ ذراعاً عرضاً، في مثلها علواً. يلاصقها في ناحيتها الغربية ثلاث قناطر تتخلّلها فسحة طولها ١٧ ذراعاً وعرضها ٦ اذرع.

على هذا الاسلوب انتهى بناء الكنيسة وزُيّنت جدرانها بصور آبائنا الرسل، ودرب الصليب، ونخبة من القدّيسين، أُضيف اليها مع كرور الازمان عدة صور ومذابح صغيرة وقناديل فضيّة وبلّورية كما سترى.

٢ الاحتفال بالقداس الاول

هذه خمسون سنة مرّت على الاحتفال بالقدّاس الاول في كنيستنا السريانية ببيروت . وما برحتُ كلّما دخلتها لقضاء فروضي الدينية أتمثّلُ ابناء جماعتنا الاتقياء الافاضل منتصبين بخشوع يحضرون الذبيحة الاولى في كنيستهم الجديدة ببهجة مقدّسة شديدة . وكنتُ اسمعهم قبل ذاك الحين يهتفون مرارًا بكلّ جوارحهم مع داود المرتّل قائلين : « اننا لن نعطي عيننا وسناً ولا اجفاننا نوماً الّا ان نجد مقاماً للربّ » (مز ١٣١ : ٤ و٥) . فكانوا يتوقون كل التوق الى رؤية كنيسة خصوصية يجتمعون اليها ويعاينون فيها الاحتفالات الدينية ويسمعون فيها الليترجية السريانية أُسوةً بابائهم واجدادهم الصالحين . وقد ظلّوا اعواماً طويلة يتردّدون الى كنيسة الآباء الكبوشيين ويحضرون فيها القدّاس الالهي الذي كان يقيمه ثمّ احد الآباء الكهنة السريان . وفيها كانوا يمارسون جميع الاسرار الدينية والفروض الطقسية .

ولما لاح فجر احد تجديد البيعة ١١ تشرين الثاني ، وفقاً للطقس السرياني ، صحّت فيهم ترنيمة داود النبي : « كما ان العصفور وجد له ماوى واليمامة عشّاً » (مز ٨٣ : ٤) فوجدوا المأوى المقدس متقناً مهنداً مزيّناً كاملاً . وشاهدوا بامّ عينهم ما لم يشاهده اسلافهم . شاهدوا احد الآباء الكهنة السريان ، وهو القسّ افرام ابيض الحلبيّ خادم نفوسهم ، مرتقياً درجات المذبح باسطاً ذراعيه الى المولى عزّ وجلّ شاكرًا له منحه الوافرة ، يحفّ به فئة من القسّان وتلاميذ دير الشرفة يترنّمون بالاناشيد السريانية . ولما اخذ ينضح الكنيسة بالماء المبارك كانت دموع الافراح تتحدّر على وجناتهم وعوامل السرور تشغل افئدتهم وهم يرقصون طرباً ويسبّحون الله القدير ويمجدونه وينشدون « في بيت الرب » (مز ١٣٤ : ٢) هاتفين باعلى اصواتهم : « ما احبّ مساكنك يا ربّ الجنود » (مز ٨٣ : ٢) .

باشر القداس القس افرام ثم رتّل انجيل ذلك الاحد : « وكان عيد التجديد باورشليم » (يو ١٠ : ٢٢) وأردفه بخطبة رنّانة استهلّها بآية النبي داود : « هذا هو اليوم الذي صنعه الربّ فلنبتهج ونتهلّل فيه » (مز ١١٧ : ٢٤)

واستأنف الذبيحة الالهية وكان المؤمنون الحاضرون يصغون اليه بمزيد التقوى والورع ويلهجون بآيات الشكر والحمد لله تعالى.

٣ الاحتفال بتدشين الكنيسة

ظلّ القس افرام ابيض يخدم كنيسة مار جرجس الجديدة سنتين كاملتين . وكان السيّد البطريرك متغيباً اثناء ذلك في ماردين مركز الكرسي البطريركي . ولمّا رجع الى حلب كتب اليه وجهاء الملة يستقدمونه الى بيروت ليدشن كنيستهم الجميلة تدشيناً احتفالياً . فاجاب البطريرك الانطاكي الى رغبتهم سرورًا ووصل الى بيروت في كانون الاول ١٨٨٤ مستصحباً نائبه الخوري انطون قندلفت وحاشيته البطريركية . وعيّن صباح الاحد ٢٧ كانون الاوّل موعدًا للاحتفال. فزيّنت الكنيسة داخلًا وظاهرًا بافخر زينة ودُبجت جدرانها باغصان الزيتون وسعف النخل محبوكة باوراق النار. ودقّ ناقوس الافراح واخذ المؤمنون يتقاطرون افواجاً الى الكنيسة . فاتّشح السيد البطريرك بالحلّة الحبريّة وتوجّه الى الكنيسة تتقدّمه راية الصليب فتلاميذ دير الشرفة ورئيسهم الخوري باسيل قندلفت فالآباء الخوارنة والكهنة حاملين المباخر وذخائر القدّيسين والشموع والمراوح وهم ينشدون الانغام السريانية . حتى بلغ السيد البطريرك الى قدس الاقداس فجثا وصلّى حامدًا الله تعالى ثم نهض وبدأ برتبة التدشين التي استغرقت ثلاث ساعات . وما برحتُ اتذكر الى هذا اليوم وقفته امام مائدة الحياة كأني اعاين حركاته وسكناته واصغي الى صوته الرخيم واسمعه يتغنى باناشيد التسبيح والشكر لله العليّ ويمسح بالميرون المقدّس مائدة الحياة وهو يقول : « زينوا العيد باغصان مشبّكة الى قرون المذبح » (مز ١١٧ : ٢٧) . ويذرف دموع البهجة والسرور والحمد.

وبعد ما مسح جهات الكنيسة الاربع بالميرون وختم صلاة التدشين احتفل نائبه الخوري انطون قندلفت بالذبيحة الالهية بحضور السيد لودفيكس بياقي القاصد الرسولي ، واحبار الطوائف الكاثوليكية ، ورؤساء الرهبنتين الكبوشية واليسوعية ، وممثل الحكومة ، والقنصل الفرنسيّ مسيو باتريمونيو ، ومتصرّف

جبل لبنان واصه باشا ، واصحاب المقامات المدنية في بيروت ولبنان . ولما انتهى الخوري انطون من القداس حتى انبرى يخطب بفصاحته المشهورة وعباراته البليغة مفيضاً في رفع آيات الحمد لله عزّ شأنه لاهجاً بالثناء على الحبر الروماني والبطريرك الانطاكي والقاصد الرسولي شاكرًا للحاضرين مشاطرتهم ابناء الملة السريانية مسرّاتهم في ذلك اليوم التاريخيّ الشهير . ولمّا ختم خطبته الشائقة منح السيد البطريرك البركة الرسولية لجميع المؤمنين الحاضرين ثم خرج الى ردهة الاستقبال ورحّب باصحاب المقامات الدينية والمدنية وابدى لهم عبارات الشكر ثم أطلق لسانه بالاثنية الجميلة على أريحية أعيان الملّة السريانية وعلى أتعابهم في سبيل بيت الله عزّ وجلّ.

وعند المساء أُنير خارج الكنيسة وفناؤها بكواكب من المصابيح اللامعة الملوّنة وتطايرت السهام في الجوّ . وكان اعيان الملّة ووجهاؤها ولاسيما السادات دي طرّازي وشقّال وموصلّي وغيرهم محتفين اذ ذاك بالسيد البطريرك مسرورين شاكرين وكانت دورهم ايضاً تشعّ بالاضواء الجميلة عربوناً لفرحهم بذلك اليوم السعيد.

هذا ما تذكره حافظتي الى هذا الآن عن هذين الاحتفالين الجميلين اعني الاحتفال بالقداس الاول وتدشين الكنيسة . على اني وقفت منذ ذاك نفسي على القيام بخدمتها وضبط حساباتها واثبات جميع ما يحدث فيها من الامور المهمّة.

وقد رأيت بهذه الفرصة ان اذكر شيئاً عن النواب البطريركيين لطائفتنا في بيروت قبل بناء الكنيسة وبعده ، مقدّماً على ذلك كلمة في اساقفة بيروت السريان :

٤ً اساقفة بيروت

لمّا عادت بيروت الى رونقها القديم في القرن الماضي شاء آباؤنا البطاركة الانطاكيون ان يقيموا اسقفاً لبيروت كسائر الملل المسيحية لانهم رأوا أنَّ أبناء الملّة السريانية يتوافدون اليها من المدن القريبة ولاسيما من حلب . واول اسقف

سرياني سكن بيروت منذ السنة ١٨١٧ ، هو السيد كوارتس انطون الدياربكري الذي اثبت اسمه ونتفاً من اخباره حضرة الفيكنت فيليب دي طرازي في كتابه « السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية » (صفحة ٤٠٣-٤٠٥). وقد اقام هذا الاسقف الورع في دار الخواجات دي طرازي زماناً. ثم استأجر له الخواجا انطون عميد تلك الاسرة السريانية النبيلة ، داراً في محلة « الكراويا » خصص قسماً منها بمصلى وقسماً بمدرسة . وكان يجتمع اليه بعض الفتيان يعلمهم المبادئ السريانية والعربية ليساعدوه في الصلوات الطقسية. وقضى هذا الحبر التقي حياته بالتقشف والنسك حتى وافته المنون في ١٦ كانون الثاني ١٨٤١ في دار المرحوم بطرس لورلا اثناء زيارته له . ثم نقل جثمانه الى كنيسة الآباء الكبوشيين بمحلة الدركاه ، ومنها شُيّع الى دير الشرفة ولُحد في مدفن الآباء .

وبعد هذا الحبر الورع رقّى السيد البطريرك مار اغناطيوس بطرس جروة (١٨٢٠-١٨٥١) الى اسقفية بيروت السيد كوارتس يوسف حائك الحلبي نحو السنة ١٨٤٢ . الا ان هذا الاسقف الجليل لم يسكن في بيروت بل أقام في دير الشرفة حتى السنة ١٨٤٥ ، ثم تولى ابرشية حلب حتى السنة ١٨٥٧ . وانتقل الى جوار ربه في ٢٨ شباط ١٨٦٣ ، ودُفن في كنيسة والدة الله بحلب .

وظلّت ابرشية بيروت السريانية دون راعٍ يقيم فيها حتى عهد السيد اغناطيوس انطون سمحيري (١٨٥٣-١٨٦٤) ففوّض شؤون أبنائها الروحية الى الخوري ميخائيل ازرق الحلبي رئيس دير الشرفة فكان يتعهّدهم ذات المرار ويعمد اطفالهم في كنيسة الآباء الكبوشيين حتى السنة ١٨٦١ . وجرى مجراه الخوري بولس راضية الدمشقي حتى السنة ١٨٦٤ .

٥ً النواب البطريركيون في بيروت قبل بناء الكنيسة

اولهم : الخوري يوحنا ممارباشي الماردينى (١٨٦٥-١٨٧٢)

كان يقيم الذبيحة الالهية في كنيسة الآباء الكبوشيين . وكنتُ اقصد تلك الكنيسة صبيحة كل يوم لاقوم بخدمته . وهو اول نائب بطريركي تعين

لبيروت وجعل سكناه في انطوش دير الشرفة بجيّ النورية . وكان يعاونه في خدمة النفوس القس لويس صابونجي (١٨٦٥ - ١٨٦٩) ، والقس الياس شدياق الحلبيّ (١٨٦٩-١٨٧٤) . وانشأ القس لويس في عهد نيابة الخوري يوحنا نسيبه مطبعةً في بيروت لنشر الكتب في العربيـة والسريانيـة والتركية . وأسس مدرسة صار لها شأن عظيم حتى قصدها طلبة العلم من ارجاء المدينة . فصارت تباري غيرها من المدارس العالية . وكان من جملـة تلامذتها أنجـال متصرّف بيروت كامل باشا الذي صار بعد ذلك صدرًا اعظم[1] . وكان الخوري يوحنـا معاربا شي يساعد القسّ لويس ويعلّم الطلبة في تلـك المـدرسة الزاهرة اللغتين الايطالية والفرنسية والعلوم الرياضيّة . والى القراء نتفاً من اخباره :

وُلد الخوري يوحنا معاربا شي في ماردين عام ١٨٣٠ . وقصد دير الشرفـة عام ١٨٤٦ . وفي القابل يمّم مـدرسة الآباء اليسوعيين في غزير ، وعكف على العلوم الكهنوتية حتى ٢٣ نيسان ١٨٥٤ . فرقّاه السيـد اغناطيوس انطون سمحيري البطريرك الانطاكي ، في كنيسة دير سيّدة النجاة بالشرفة ، الى الرتبة الكهنوتية المقدّسة واتخذه كاتباً لاسراره ، واستصحبهُ في رحلتـه الشهيرة الى عاصمة الكثلكة والى فرنسة وبلجيكة وهولندة . ثم عاد معه الى ماردين .

وفي السنة ١٨٦٥ رقّاه السيّد ديونيسيوس جرجس شلحت الى رتبة خورفسقفوس وعيّنه نائباً بطريركيًا في بيروت . فطفق يخدم النفوس بغيرة متوقـدة . واتفق انه تفشّى فيها في تلك السنة عينها الهواء الاصفر . فنهض الخوري يوحنا بخدمة المصابين من جميع الملل نهوضاً وقف عنده المؤمنون موقف الاعجاب بنشاطـه وجهاده . وقد كتب غبطة السيّد غريغوريوس الثالث وهو بطرس الثامن بطريرك الارمن (١٨٤٣ — ١٨٦٦) الى الخوري يوحنـا يثني على غيرته الكهنوتيـة ويشكر له خدمته النصوح لابناء ملّته الكريمة بدلًا من خوري طائفته الذي توفّاه الله في تلك الغائلة . والخلاصة ان الخوري يوحنا الفاضل اصبح اثناء المحنة قدوة الشهامة وعنوان المروءة والاخلاص ومثال محبة القريب . وقد أصيب هو

١) عن « تاريخ الصحافة العربية» لمؤلفه الفاضل الفيكنت فيليب دي طرازي (٣ : ٧٢)

نفسه بالوباء المذكور لكنّ العناية الالهية أنجته باعجوبة باهرة.

وفي السنة ١٨٦٩ توجه الخوري يوحنا الى عاصمة الكثلكة صحبة غبطة السيد اغناطيوس فيلبس عركوس البطريرك الانطاكي (٨٦٥ –١٨٧٤) وكان في زمرة الاثني عشر الذين غسل البابا بيوس التاسع، خليفة مار بطرس هامة الرسل، اقدامهم يوم خميس الاسرار عام ١٨٧٠. وفي السنة ١٨٧٨ اوفده السيد اغناطيوس جرجس شلحت الى قسطنطينية بشابة نائب بطريركي ليسعى في استحصال الفرمان الشاهانيّ المؤذن ببناء كنيسة بيروت فبذل الجهود المشكورة في الحصول عليه عام ١٨٨٠ كما ذكرنا آنفاً.

وفي السنة ١٨٩٢ رقّاه السيد اغناطيوس بهنام بنّي(١٨٩٣–١٨٩٧) النائب الرسوليّ الى مطرانية دمشق في كاتدرائية حلب خلفاً للسيد اقليميس يوسف داود الحميد الاثر . وفي السنة ١٨٩٣ حضر السيّد اقليميس يوحنا معاوباشي المجمع القرباني في اورشليم. ثم استعفى من مطرانية دمشق وتولى النيابة البطريركيّة في ماردين. وعيّنه الكرسي الرسولي نائباً رسولياً عاماً على الطائفة جمعاء، على اثر وفاة السيد البطريرك المشار اليه. وظلّ يسوس الرعيّة في ماردين وطنه حتى لفظ روحه بيد خالقها في حزيران ١٩١٤ . وهو الذي وقف على طبع كتاب المعدعان ܡܥܕܥܕܢ في المطبعة الكاثوليكية ببيروت عام ١٨٧٧. وقد خلف في قلوب ابناء الطائفة البيروتية اجمل تذكار رحمه الله تعالى.

ثانيهم : الخوري بطرس بوصيك الماردينى (١٨٧٢–١٨٧٤)

تولّى هذا الاب الفاضل النيابة البطريركية في بيروت دفعتين استغرقت الاولى سنتين كاملتين (١٨٧٢ –١٨٧٤) والثانية سنةً واحدةً وهي السنة ١٨٨٦. وكان يعاونه في خدمة النفوس الاب باسيليوس توماجان الماردينى الذي حضرته الوفاة في دمشق عام ١٨٧٩.

وُلد الخوري بطرس بوصيك في ماردين عام ١٨٣٣ . وشخص الى دير الشرفة عام ١٨٤٦ وفي تشرين الثاني ١٨٥٢ قصد اكليريكية الآباء اليسوعيين في غزير حيث اكبّ على العلوم الكهنوتية حتى السنة ١٨٥٤ فاستصحبه السيّد

اغناطيوس انطون سمحيري الى رومية . وقرأ العلوم الفلسفية واللاهوتية في مدرسة البروبغندة . وفي ٢٥ ايار ١٨٦١ ارتقى الى الرتبة الكهنوتية في كنيسة مار يوحنا اللاترانيَّة الكبرى . وفي ١٦ شباط ١٨٦٢ غادر عاصمة الكثلكة الى وطنه ماردين، وتقلّد رئاسة الابرشيَّة حتى السنة ١٨٦٩ . واتخذه السيد نيقولا كستلس القاصد الرسولي كاتباً لاسراره حتى السنة ١٨٧٠، وفيها توفي القاصد المشار اليه في ماردين ولُحد في كنيسة الآباء الكبوشيّين. -

وفي ايار ١٨٧٢ وافى الخوري بطرس الى بيروت ونصبه السيد اغناطيوس فيلبس عركوس نائباً عنه . واصطفاه السيد لودفيك بيائي القاصد الرسولي عام ١٨٧٣ كاتباً لاسراره . ثم اوفده السيد اغناطيوس جرجس شلحت عام ١٨٧٤ الى قسطنطينية في استحصال البراءة الشاهانيَّة لغبطته . ففاز بها في حزيران ١٨٧٥ بيد انه توقف ارسالها حتى ١٤ تشرين الثاني ١٨٧٦ . فحملها الخوري بطرس الى السيد البطريرك الذي كان ينتظرها في دير الشرفة بذاهب الصبر . وفي ١٤ كانون الثاني ١٨٧٧ رقّاه السيد البطريرك الى رتبة خورفسقفوس مكافأة لاتعابه .

وفي ١٠ حزيران ١٨٨٦ عاد الخوري بطرس الى بيروت، وتولى النيابة ثانيةً حتى ٨ تشرين الثاني، فنصبه صاحب الغبطة رئيساً على دير الشرفة . وفي ٦ تشرين الاول ١٨٨٧ ارتحل الى ماردين وثابر على خدمة النفوس حتى وافاه الاجل في ٢٥ كانون الاول ١٩٠٦ وكان رحمه الله تعالى عالماً فاضلاً خبيراً باللغات اللاتينية والفرنسية والايطالية والسريانية والعربية ممتازاً بالعلوم الفلسفية واللاهوتية .

ثالثهم : الخوري يوسف معارباشي الماردني (١٨٧٥–١٨٧٨)

افضت اليه النيابة البطريركية عام ١٨٧٥ وساس الرعيَّة البيروتيَّة ثلاث سنوات بما اتصف به من الحزم والنشاط . ولقي حظوة عند السيد البطريرك الذي أنس منه الاخلاص والامانة فنصبه رئيساً على دير الشرفة في ٢٣ حزيران ١٨٧٩ ثم ارسله عام ١٨٨٠ صحبة ابن اخيه يوسف شلحت الى رومية واسبانية

واميركة ليجمع حسنات المؤمنين في سبيل ابتناء دير مار افرام السرياني بماردين وانجاز كنيسة دير الشرفة (١٨٧٤ - ١٨٨٢) . وفي ٢٨ ايلول ١٨٨٢ عاد الى دير الشرفة وظلّ يرئسه حتى ١٥ نيسان ١٨٨٣ فسافر الى ماردين وطنه ووكل رئاسة الدير الى عمنا القس موسى سركيس حتى عاشر تشرين الثاني من تلك السنة . وفي ٢٣ آب ١٨٨٤ اقامه السيد البطريرك نائباً في النبك وهناك أُصيب بالفالج عام ١٨٨٦ فعاد الى ماردين ولقي ربّه صباح خميس الصعود ٢٢ ايار ١٨٨٩ وله من العمر خمسة واربعون ربيعاً .

وكان ولاد هذا الاب الغيور الهمام في ماردين في ١٤ شباط ١٨٤٤ وقصد دير الشرفة عام ١٨٥٨ وتوجه الى مدرسة انتشار الايمان المقدس عام ١٨٥٩ واحرز اكليل الملفنة في الفلسفة واللاهوت . وارتقى الى المنصب الكهنوتي عام ١٨٦٩ ، وعاد الى دير الشرفة وتولى رعاية التلاميذ حتى السنة ١٨٧٥ . وكان رحمه الله تعالى ممتازاً بذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشريف الاخلاق ولا سيما اخلاصه المحبة والطاعة لرئيسه المغبوط . وعاش عيشة مفعمة من المبرات والحسنات . وتوفي برائحة القداسة . وما برحتُ اذكر صفاته النادرة ، واترحم على نفسه الطاهرة كلما لمحت صورة القديس يوسف شفيعه التي زيّن بها احد جدران كنيسة مار جرجس .

(لها صلة)

جولة في المجلات

المطران جرمانوس فرحات – الشيخ كامل الغزي – الماسونية

المطران جرمانوس فرحات

بشّر « المشرق » في طليعة العام الماضي بيوبيل فرحات المئوي الثاني وعرض منهاجاً لما يمكن القيام به اكراماً لذلك الرجل الشهير في تاريخنا الديني والادبي . ثم حالت الظروف دون اقامة حفلات اليوبيل بسنتها . على ان ارجاء العيد الى ايار القادم سوف يزيده رونقاً بعد طيلة مدة الاستعداد اليه . وها ان مجلة « الشهباء » الحلبية المعروفة سابقاً « بالقربان » اتت في اعدادها الاخيرة تحدثنا عن الاسقف وحياته قالت بلسان منشئها الخوري الاسقفي اغناطيوس سعد المفضال (ايار ١٩٣٣ ص ٣٠) :

تتلخص حياة فرحات مطراناً على حلب في الشعار الذي اتخذه لاسقفيته وهو لا يزال مرسوماً على جميع الكتب الطقسية والمؤلفات النفيسة التي اقتناها من ماله الخاص ووقفها لابرشيته ، فيمثل هذا الشعار في وسطه القس جرمانوس بطريرك القسطنطينية وفي يده اليمنى سيف من لهيب اشارة الى ما يجب على الاسقف ان يتصف به من الغيرة على الدين وخلاص النفوس او ان يكون لسانه ذا حدين في اقواله فيقضي بالحق لا تأخذه لومة لائم ويوبخ ويؤنب بلا تهيب ولا مراعاة خاطر ، وفي يده اليسرى درج مكتوب دلالة على ما يجب على الاسقف ان يتحلى به من المعارف والاداب الدينية والدنيوية ليكون منارة علم وتقى او على ما يجب عليه ان يتبعه من الشرائع في اقواله وافعاله وعلى جانبي رأسه اغصان الارز رمزاً الى وجوب تصون الاسقف وخلوه من الفساد في سيرته واقواله واعماله ليستنير الناس بسيرته ويستنيروا بانوار فضائله وفي الاطارين

الخارجيين مكتوب باللاتينية والسريانية : الحقير جرمانوس مطران حلب

تلك كانت حياة فرحات ويمكن اختصارها بثلاث كلمات : غيرة وعلم وفضيلة تجلت في كل اعماله ...

الشيخ كامل الغزي

في بدء هذا العام نعت مجلة الحديث الحلبية الشيخ الوقور والاديب المعروف كامل الغزي انتقل الى رحمة ربه وقد جاوز الثمانين. قالت في عدد شباط ، ص ١٥١ :

كانت صِلاته وثيقة مع كافة الطبقات ومع مختلف المذاهب ...

سمي عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في دمشق مع بضعة عشر عضواً من حلب ومع انه كان اكبر جميع الاعضاء سناً فقد كان انشطهم جميعهم في البحث والدرس بل كأني به قد طواهم في جبته واخذ يمثل حلب في الكتابة الحين بعد الحين ! ...

وسمي رئيساً للجنة الآثار في حلب ورئيساً لتحرير مجلتها ، ومع ان هذه اللجنة تضم اكثر من عشرة اعضاء. فتشاء الظروف ان تقوم اعمال اللجنة والمجلة على مدير المتحف النشيط وعلى شيخها الراحل ، اما بقية الاعضاء فكانوا يكتفون بفخر انتسابهم الى الجمعية دون ان يقوموا بعمل محسوس ! ...

كتب تاريخ حلب فلم يخرج عن القصد ولم يلتو كغيره الى منحدرات لا صلة لها بقمة الموضوع ! ...

في اعتقادي ان الشهباء خسرت هذا الشيخ الجليل الذي كانت تتمثل فيه طبيعة العلماء وذوق الادباء ونزعة المجددين ووداعة ورقة الظرفاء. وجمال الشيخوخة في فتوتها الباسمة — احسن تمثيل.

رحمه الله وعزى حلب والعلم بفقده.

وتكملةً لما سبق يفيدنا ان نروي عن كتاب السيد قسطاكي الحمصي: « ادباء حلب ذوو الاثر في القرن التاسع عشر » (ص ١١٥ وما بعد) خلاصة ما لا بد من حفظه من ذكر الفقيد صيانةً لحقوق التاريخ الادبي العربي الحلبي .

كامل الغزي ابن الشيخ حسين الامام في علوم الشريعة والحديث والمنطق

والادب ولد في حلب سنة ١٨٥٢ ودرس على محمد الكحيل ومصطفى الكردي فنال حصة وافرة من علوم الفقه والحديث والمنطق والعربية ونظم الشعر وهو فتى .

تقلب في المناصب في الحكومة ومن مؤلفاته واكثرها لم يطبع «جلاء الظلمة في حقوق اهل الذمة» و«تاريخ حلب» طبع جزءه الثالث . ومن شعره قوله في طفله شاكرًا لله نعمته .

حققتَ لي بعد القنوط المرتجى ... ما خاب ذو رجو عليك يعول
فنحتني كرمًا غلامًا وجهه ... اضحى به وجه المسرة يقبل
ابني انت وديعة الله الذي ... هو بالودائع خير من يتكفل
ابصرت نجمك في الديار واتني ... لاخال شمسي عن قليل تافل

الماسونية

تقول مجلة المعارف الشويفاتية الارثوذكسية انها نصيرة الماسونية ولسان حالها . وقد اتت في اعدادها الاخيرة تحدثنا عن المحافل في مصر وفي لبنان فتشكو غالبًا كساد البضاعة الماسونية وانقسام الاخوان بعضهم عن بعض وفقدان روح النهضة فيهم وتهافت ابناء الارملة على اقتسام المناصب وخذلان البعض وانتصار غيرهم . كل ذلك مما يضحك الثكلى فضلًا عن الارملة . على ان في كلام المعارف لجديدًا ! وما عسى يجدّ عند ابناء المشيرة ؟ هو انهم كانوا يتحاشون الظهور في النور ، والماسونية جمعية خفية سرية تكتم اسرارها واسماء اعضائها رؤساء واخوانًا . فالمعارف اليوم تشهر الاسماء وشدّ ما هو عجبنا ان نرى في لائحتها اسماء من عهد اليهم تهذيب الناشئة في بعض المعاهد الكاثوليكية الكبرى في بيروت . افلا يخشى صاحب المعارف الفضيحة

جاء في عدد ايار على المحافل المصرية ص ٤٠٥

وصلنا مصر واول ما عزمته درس حالة الماسونية فيما بعد اندماج المحفلين الاكبرين في محفل واحد وايقاظ الشرق الاكبر الوطني المصري .

زرت الكثيرين من اقطاب الماسونية واجتمعت برجال الفريقين فوجدت شيئًا جوهريًا هو ان اندغام المحفلين كان لغايات شخصية قسمت الوظائف بين افراد قلائل وفقًا للمآرب والغايات وقد جرت بطريقة غير قانونية فلم يقبل فريق من احرار مصر الحقيقيين ان يجري في مصر ما جرى فايقظوا الشرق الاكبر الذي هو ابو الماسونية المصرية واجروا انتخابًا قانونيًا ففاز بالرئاسة رجل

الوجاهة والفخر عثمان باشا مرتضى وبالسكريتارية العظمى زنبرك (كذا) الماسونية وركنها الوطيد محمد رفعت بك الذي آلمه ان يرى الغايات تدب في الماسونية فايقظ الشرق وسار به.

وصلت اخبار الشرق الى بيروت فاستقبلها الاخوان بشوق وانسحبوا من المحفل الاكبر وارتبطوا به والفضل في ذلك لامين ابي مرشد «رجل الماسونية الحر ... »

درسنا في مصر ونقبنا فوجدنا ان غاية الشرق تنقية الماسونية من ادرانها وفصل قمحها عن زوانها.

وجاء في المعارف (حزيران ص ٤١٣)

انقسمت العشيرة ... وهناك غير ذلك من عوامل الخراب.

عاقت المحافل عن القيام بما تفرضه المبادئ الماسونية وشغلتهم عن واجباتها نحو الانسانية حتى تعطلت المنشآت الخيرية من هيئات اسعاف ومدارس وعيادات طبية وحبست الاعانات عن عائلات كريمة ... ولا جدال في ان هذه العوامل أدت الى انحلال اخذت مظاهره تبدو على المحافل الرمزية سواء في مصر او سورية او فلسطين فمنها التي عطلت ومنها ما انفصلت.

وفي عدد تموز ص ٥٢٩ عدّ صاحب المعارف المحافل ورجالها معظماً مفخماً الالقاب. نكتفي من اقواله بالاعلام.

محفل لبنان، وهو اقدم محافل بيروت وسورية، يرأسه سعيد صباغه.

محفل الحكمة وهو يشتغل بالسياسة مع السابق.

محفل نيويرك والسوري الاميركي وفخر الدين يراقبها خالد ثابت والاخوان التابعون الطريقة المصرية.

المحافل المصرية في بيروت ولبنان كانت تتبع المحفل الاكبر الوطني المصري وانحلت بانحلاله. واستقال الداماد احمد نامي بك من وظيفة استاذ اعظم. وتشكلت محافل في بيروت ولبنان عددها ١٤، رجالها في صدورهم الروح الوثابة لخدمة البلاد والعشيرة وفي تعزيز المحافل والنهوض بالماسونية وهي تقوم على اكتافهم كالمنذر وبرباري وغيرهم من الرؤساء الناهضين. ف.ت.

مطبوعات شرقية جديدة

Am. Giannini : L'ultima fase della questione orientale, 1913-1932. *Pubblicazioni dell' Istituto per l'Oriente*. in-8° de 416 pp. et 3 cartes hors-texte. Roma, Istituto per l'Oriente, 1933. *Prix* : L. 50

المظهر الاخير للمعضلة الشرقية من ١٩١٣ الى ١٩٣٢

صاحب الكتاب من ذوي الاختصاص بالامور الشرقيّة . وقد كان لآثاره الاخيرة تقدير جدير بالذكر . وها هو ينشر اليوم كتاباً ذا فائدة جمّة لجميع المشتغلين بالتاريخ الشرقي المعاصر ، دارساً مظاهر المعضلة الشرقيّة متتبعاً ازماتها حتى اصولها . ولا يخفى ان من هذه المشاكل ما بدت آثاره الاولى قبل الحرب العظمى كالمشكلة العربية البادئة على عهد عبد الحميد . ولهذا بدأ المؤلف درسه منذ الحروب البلقانية ، متوقفاً عند النقاط المهمّة كمعاهدة سيفر ، واتفاق انقرة ، وهدنة ميدانية ، واتفاقات لوزان ، وما يلتحق بها من مشاكل الارمن ، والأكراد ، والعرب ، واليهود ، ومسائل الاراضي المقدّسة ، وقبرص ، ولبنان ، الى غير ذلك من الموضوعات التي يظهر فيها المؤلف على اطلاع واسع ، ونقد دقيق . ولم يكن استناده الى مجلة « الشرق العصري » الايطالية « Oriente Moderno » ليقلّل قيمة اسانيده . بل بالعكس ، وكلّنا يعلم ان هذه المجلة اخذت منذ السنة ١٩٢١ بتطبيق اصول النقد الصحيح على جميع ما تنشره من الحوادث والاخبار ، مستقاة المجلات والجرائد الشرقية المتباينة النزعات ، حتى اصبحت تمثّل اليوم كنزاً ثميناً من المعلومات عن جميع الاحداث الشرقية التي شهدناها قريبة منا دون ان نجهد الفكر في تفقيها . هذا ونتائج المؤلف جديرة بالذكر . فان المؤسسات التي ادخلت في الشرق الادنى ابعد من ان تكون قد توصلت اليوم الى شكلها النهائي الثابت . على ان هناك مبدأ جديداً قد أُدخل وأُقرّ ، وهو مبدأ القوميات . ومهما يأتِ به المستقبل فاننا قد حصلنا على امر واقع ، وهو انفصال هذه المناطق عن الامبراطورية العثمانية . ومن الحق ان الجهد في ذلك كان طويلاً ، ولكنه انتهى لحسن الحظ . حتى يمكن الانسان

ان يرجو للشرق الادنى، بفضل جوّ مطمئنّ مسالم، ان يستعيد مركزه القديم على شاطئ المتوسط، ان شاء الله ! ج. ل.

J. Maritain : Eléments de philosophie. t. II L'ordre des concepts ; fasc. 1 Petite logique. 8° *mille revu et corrigé.in-*8° *de XI*— 353 *pp.*, 20 *fs. Paris, Pierre Téqui.*

مبادئ في الفلسفة : المجلد الثاني

يشمل كتاب المبادئ الفلسفة لماريتن سبعة مجلدات وصلنا مؤخرًا الثاني منها . وان ما قابل به المفكرون ما ظهر حتى الآن يؤمل بنجاح الكتاب نجاحًا باهرًا . ولا شك في ان طلّاب بلادنا كزملائهم في فرنسة يستفيدون الفائدة الجلى من هذا التأليف الواضح المفصّل . على انه لما كان يزيد عن موادّ المنهاج المقرّر، طُبعت الفقرات الزائدة بحرف اصغر من الحرف العادي.

Norbert Casteret : Dix ans sous terre, campagnes d'un explorateur solitaire. 1 *vol. in*-16 *illustré. Prix :* 15 *fs. Librairie académique Perrin, Paris.*

عشر سنوات تحت الارض

هذا كتاب سيحدث دون شكّ اثرًا بعيدًا . فهو كتاب مغامرات جريئة وكتاب علم صحيح . يورد فيه المؤلف باسلوب بسيط دقيق ما توصّل اليه من الاكتشافات الغريبة في ارتياداته العديدة . ارتاد اولًا كهف مونتسبان حيث اكتشف اقدم تماثيل في العالم . ثم مغارة لاباستيد حيث اطلع على امثلة فنية ترقى الى خمسة عشر الفًا او عشرين الفًا من السنين . وهو يصف لنا اعلى مغارة جليدية معروفة في العالم، ويشرح ما كان لا يزال حتى اليوم من المشاكل الغامضة في ما خصّ ينابيع الكارون . ولا يخفى ما يتطلّب كل ذلك من جرأة على المغامرة والمخاطرة قرنها المؤلف بالدقة العلمية الوافية . وقد ظهر اثر ذلك في الكتاب حتى ان المطالع يشعر بقشعريرة الايجاس اذ يدخل به المؤلف ظلمات الارض . فيبدو له رجل رياضة ومغامرة، ولكنه يستعمل ذلك في سبيل توسيع نطاق المعارف وخدمة العلم . فيلذ ويفيد ويدفع الى الجرأة والاقدام.

L. Garriguet : La Vierge Marie. *in-8° de 460 pp. Prix : 15 fs. Paris, Pierre Téqui.*

العذراء مريم

غاية المؤلف ان يبسط للجميع خلاصة العقائد المريمية المتضمّنة في كتب الخاصّة. وقد توفّق الى ذلك بدرس دور العذراء مريم وخصائصها، وفضائلها، واستحقاقاتها، ومجدها، وشفاعتها، ومظاهر تكريمها. وممّا يدلّ على مزايا الكتاب ورواجه انه ادرك في سنوات قلائل طبعته الثامنة.

René Gobillot : Architecture moderne et contemporaine. [*Biblioth. Cathol. des Sciences Religieuses*] 1 *vol. in-12 de 216 pp. illustré. Prix 12 fs. Bloud et Gay, Paris, 1933.*

هندسة البناء العصرية والحاضرة

اراد المؤلف ان يدرس مظاهر التطوّر في هندسة البناء الدينيّة مدة القرون الخمسة الاخيرة. ولم يخفَ عليه ان موضوعاً كهذا اوسع من ان يحصر بمائتي صفحة، فرأى ان يكتفي بذكر المظاهر العامة للموضوع ليسهّل على المطالع القاء فكرة شاملة، وهو امر لم يسبق اليه احد في عرفنا.

لقد قام كثير من العلماء وارباب الفنّ فدرسوا نواحي متنوّعة من هندسة البناء، وبحثوا في جميع عصورها. الا ان عملهم في ما خصّ هندسة البناء الدينيّة ظلّ قاصرًا يجدّ نفسه ومتعلّقًا بالهندسة العامّة التي درسوها. ولا يخفى ما في ذلك من النقص لان الهندسة الدينيّة اقلّ تطوّرًا من الهندسة المدنيّة، اذ ان مهندسي البنايات الدينيّة لا يتركون تقاليدهم بسهولة. وعليه فلا نرى في هذه الهندسة ما نراه في تلك من الاختلاف الجسيم بين بنايات قرنٍ وبنايات ما يليه من القرون. ومن مظاهر هذا التقليد ان النفحة التجديدية التي اثارتها النهضة الايطالية في كل شيء، لم يبدُ اثرها في الهندسة الدينيّة الا بعد مرور اكثر من قرن على ظهورها. على انها لم تظهر حتى في القرن السابع عشر الا بمقدار، اذ حفظت تلك الهندسة شيئاً من ميزاتها في القرون الوسطى. ثم ان هندسة القرون الوسطى نفسها، التي انصرف الناس عنها على عهد لويس الرابع عشر، عادت الى شيء من الازدهار في زمن لويس الخامس عشر، حتى اذا

نشطت الحركة الرومانتيكية ، لجأ اليها المهندسون دفعةً واحدة فنقلوا معالمها على طريقة خلت من الابتكار في الغالب . اما في عصرنا فلا تزال الهندسة الدينية تفتش عن المظهر المبتكر اللائق . وقد بذل المهندسون جهودًا جديرة بالثناء ، فاستخدموا الموادّ المختلفة . على انهم لم يصلوا بعد الى الشكل النهائي . ولعلّهم يعودون الى شيء من آثار القرون الوسطى فتتم الحلقة التقليدية ، وتعود الهندسة الدينيّة الى ماضي ازدهارها .

M. Appert : Le bananier et sa culture. *vol. in*-12 *de* 120 *pp. Paris, Larose.*

الموز وزراعته

كتاب جزيل الفائدة في بلادنا خاصة ، وقد اخذت زراعة الموز بالتقدّم المتواصل . ومؤلفهُ من ذوي الاختصاص في الموضوع ، وافر الاطلاع ، واسع الخبرة ، على ما يظهر . وهو يدرس اولًا اختيار الارض ، واعدادها ، وطرق العناية ، وجني الموز ، ومخازنه ، واساليب شحنه ، ومكافحة المضارّ التي تنزل به . كل ذلك مفيد يحسن الاطلاع عليه لان هذه الزراعة الوافرة الربح قد تفقد كثيرًا من محصولها اذا ما اهملت طرق العناية بها .

E. de Moreau S. J. · Saint Anschaire missionnaire en Scandinavie au IX^e s. 1 *vol. in-8° de* 159 *pp. illustré.* [*Museum Lessianum, section missiologique, n°* 12] *Louvain*, 1930. *Prix : 30 fs.*

القديس أنشير المرسل في بلاد سكاندينافية في القرن التاسع

وُلد هذا القديس في المنطقة الشمالية الغربية من امبراطورية شرلمان ، اي في بيكاردية او في الفلاندر . وقد كان مرسلًا في بلاد سكاندينافية ، واسقفًا على هامبورغ . وهو معروف عند الالمان، وواسع الشهرة في بلاد الدانمرك واسوج . اما في فرنسة فلم يترجم له احد بعد . وكان ان العلاقات توثقت بين بلجكة واسوج بزفاف البرنسيس استريد الاسوجية الى ولي عهد بلجكة ، فحسن ان تُنشر حياة مُرسل الشمال هذا . وقد نجح فيها المؤلف نجاحًا تامًّا بما دقق في المعلومات وبما اظهره عن حياة مرسلي الكاثوليك في تلك الاصقاع وفي ذاك الزمن .

Mgr Aug. de Clercq : Recueil d'instructions pastorales *in-8°* *de* 131 *pp. Prix* : 15 *fs.*

مجموعة مواعظ رعائية

القى المونسنيور دي كليرك ، النائب الرسولي في الكونكو البلجيكي ، سلسلة مواعظ وتعليمات على مرسليه ، قاصداً بذلك تمهيد السبيل الى فهم عقلية الزنج في تلك الاصقاع ، ومن ثمّ تسهيل عمل الرسالة ، فاتت مجموعة نفيسة تدل على مشاكل الرسالة هناك وما تقتضيها من الجهود في سبيل حلّها ، والطريق القويم الى هذا الحلّ ، مما يشكر عليه المؤلف . ولعلّ الكتاب المذكور افضل ما خُطّ في درس عقلية اولئك القوم . وهو فضلاً عن ذلك مثال لكل من يرجو التأليف في هذا النوع من الدروس.

اللآلي في حياة المطران عبدالله قرألي

بقلم الخوري بولس قرألي

القسم الاول : الراهب — ١٩٣ ص. متوسطة — مطبعة العلم ، بيت شباب (لبنان)
١٩٣٢ — الثمن : ٢٠ فرنكاً

اذا قامت الطائفة المارونية بحساب مقدّراتها الروحية ، فانها تدرك كل ما هي مدينة به لرهبانها الافاضل . واذا قام هؤلاء الرهبان بدورهم يدرسون تاريخهم الروحي ، فانهم يتحققون كل ما هم مدينون به للمثلث الرحمات المطران عبد الله قرألي (١٦٧٢—١٧٤٢) . فلم يكن من الممكن ، والحالة هذه ، ان تظلّ هذه الشخصية البارزة قيد النسيان ، او قيد معرفة القليلين من مؤرخينا الكرام . ولم يكن اجدر بان يكتب هذا التاريخ الطافح بالامثال والعبر من حضرة المنقّب الجلود الخوري بولس قرألي ، وهو يقرن بالدقة التاريخية وسعة الاطلاع تلك الصلة بالحبر الكبير التي تخفّف من مشقّات التفتيش ، وترغب في مواصلة التنقيب ، وتمهّد السبيل للتفهّم والاستنتاج . وعليه فقد قام المؤلف بعمل خدم به الرهبانية والطائفة خاصّة ، والحياة الروحية في لبنان عامّة . وقد نشر منه القسم الاول بعنوان « الراهب » ، فخصّ الفصل الاول منه بحداثة المترجم له ودعوته ، والثاني بوصف الرهبانية القديمة في لبنان ، والثالث برئاسة القس

جبرائيل حوا ، والرابع بانتخاب القس عبد الله (اي المترجَم له) رئيساً عاماً . ثم انتقل الى ذكر سيرة الرئيس الجديد ، وانتشار الرهبانية في ايامه ، وازدهار اديارها ، وما لاقته من صعوبات وتجارب في سبعة فصول ختم بها القسم الاول . فنحن نرجو بكل اخلاص ان يستفيد ابناء الوطن من هذا الكتاب بقدر جهود مؤلفه الذي نأمل من عنايته ان يتابع العمل حتى النهاية . ف.ا.ب

المختصر الحديث في الجغرافية

تأليف يوسف عماد

٤٩ ص. كبيرة – مطبعة صادر ، بيروت ، ١٩٣٣

تقدم لنا (ص ٧٩ من « مشرق » السنة الحالية) ذكر « المختصر المفيد » للمؤلف نفسه في تاريخ سورية ولبنان . وها انه يردفه اليوم « بمختصر » آخر في جغرافية سورية ولبنان وفلسطين والشرق العربي ، مقدِّماً على ذلك دروساً تمهيدية في الجغرافية العامّة ، سائراً على منهاج المعارف العامّة للشهادة الابتدائية الاعدادية ، متصفاً بالايجاز والفائدة .

الضاحك الباكي

تأليف فكري اباظه المحامي

٢١٥ ص. صغيرة – مطبعة الهلال ، مصر ، ١٩٣٣

رواية مصرية عصرية واقعية اسدل عليها المؤلف مسحة جذابة من اسلوبه الظريف فصوّر فيها تهوّرات « الضاحك الباكي » ، احد الشبان المصريين ، بين السياسة والغرام ، وقدّمه الى الشبان من القرّاء « شاباً مستهتراً لينتفعوا بمآسيه ومباذله ... » وقد قبل بطل الرواية بذلك على شرط ان يقبل اخوانه الشبان منه نصيحتين اثنتين وهما : « اولاً ان يتزوجوا قبل الخامسة والعشرين . وثانياً ان لا يشتغلوا بالسياسة قبل الخامسة والثلاثين . » (ص ٢١٤–٢١٥)

الشخصية

تأليف : لي أرلن — تعريب : دلال صفدي

٦٨ ص. صغيرة – مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩٣٢

كتيّب لطيف مفيد اختارته حضرة الاديبة دلال صفدي من مؤلفات

الكاتبة الانكليزية لي آرلن وارادت ان تفيد بني قومها بما احتواه من آراء نفيسة وملاحظات قيّمة تدور حول تعزيز الشخصية كمعرفة الانسان نفسه ، والثقة بها والاتكال عليها ، والثبات في القصد ، والاتقان في العمل ، والثقافة البدنية والعقليّة والاخلاقيّة وما الى ذلك من الموضوعات التي يجدر بالمربّين والمهذّبين الاطلاع عليها والاستفادة منها . وقد عرّبتها الادبية بتصرّف يناسب المقام والبيئة ، فاستحقت الشكر . ف . ا . ب .

البخيل

تأليف : موليير — تعريب : الياس ابو شبكة

١٠٠ ص متوسطة صغيرة — مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٣٣ — الثمن : ٦ فرنكات

رواية البخيل لموليير اشهر من ان تُعرَّف . وقد نقلها الاستاذ ابو شبكه جارياً فيها على الاسلوب الذي اتبعه في نقل ما سبقها مما اشرنا اليه . فاضافتها مكتبة صادر الى سلسلة الروايات التي عُنيت جديداً بطبعها .

جنفياف

بقلم نبيل البستاني

٨١ ص. متوسطة صغيرة — مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٣٣ — الثمن : ٥ فرنكات

وهذه ايضاً من الروايات التي تنشرها مكتبة صادر ، وهي تمثيلية ذات اربعة فصول ، نثرية يتخللها شيء من الشعر ، تصلح لتلامذة المدارس .

* رسالة رعائية * وجهها صاحب السيادة المطران انطون عبد رئيس اساقفة طرابلس في الموارنة الى ابناء ابرشيته الكهنة والعلمانيين . — ٨ صفحات متوسطة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣

* آثار جبيل * بقلم يوسف ابي فرنسيس — ٢٢ ص . صغيرة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣ — كرّاس جمع فيه صاحبه لائحة بجميع المكتشفات التي ظهرت في جبيل منذ فسحة بدء الحفر المنظم من سنة ١٩٢٦ الى السنة ١٩٣٣ ، مع بعض اجماليات في الموقع .

* الذكرى المئوية لتأسيس شركة القديس منصور في باريس * ١٦ ص . صغيرة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣ . كرّاس في تاريخ الشركة المذكورة ، وغاياتها ، وطرقها ، وحالتها الحاضرة في لبنان وسورية خصوصاً .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ آب — ١٥ ايلول ١٩٣٣

لبنان وسوريا — احتفت الجمهورية اللبنانية بعيد الاستقلال في ١ ايلول وبعيد الشهداء في ٢ منه.

* بمناسبة عيد لبنان اصدر رئيس الحكومة مرسوماً يمنح العفو العام جميع الموظفين الاداريين والعدليين عن جميع الجرائم التي ارتكبوها اثناء قيامهم بوظائفهم قبل ٩ ايار ١٩٣٢

* عاد غبطة بطريرك الارمن الكاثوليك من رومة الى مقرّه في بيروت.

* عيّن الكرسي الرسولي الورتبيت كريكور هندية مطراناً على الارمن الكاثوليك في ابرشيّة حلب خلفاً للمطران جرجس كورتيكيان المتوفى.

* احتفل في بكفيّا بمرور مائة سنة على وصول الآباء اليسوعيين اليها، وعلى بنائهم فيها اول دير في الشرق في عهد رسالتهم المجدّدة.

مصر — عُيّن السر مايلز لامبسن مندوباً سامياً في مصر خلفاً للسر پرسي لورين.

* وافق مجلس الوزراء على اتفاقية الحدود الغربيّة مع ايطالية.

* عاد صدقي باشا من رحلته في اوربة.

العراق — توفي الملك فيصل في برن (سويسرة) ونُقل جثمانه الى بغداد وقد نودي بابنه الامير غازي ملكاً على العراق.

* اثارت مذابح الاشوريين الرأي العام في اوربة، وقد اهتمّت جمعيّة الامم باحتجاج الاقليّة الاشورية.

بلاد العرب — لا تزال العلاقات متوترة بين اليمن والحجاز.

المطبعة الكاثوليكية المدير المسؤول : يوسف ماهر